شهداء الصحابة

على أرض الأردن المستطابة

الدكتور

نوح الفقير

دار الرازي
للطباعة والنشر والتوزيع
عمان - الأردن

الطبعة الأولى
1423 هـ - 2002 م

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية :
(٢٠٠٠/٩/٢٧٢٠)
رقم التصنيف : ٢١٤٫٣ فقي
المؤلف ومن هو في حكمه :
نوح الفقير
عنوان الكتاب :
شهداءالصحابة على أرض الأردن المستطابة
الموضوع الرئيسي :
الاسلام – الجهاد
عدد الصفحات : (١٢٠) صفحة
قياس القطع : ١٧X٢٤
عدد النسخ : ٣٠٠٠ نسخة
تصميم الغلاف : محمود مبروك .
تنضيد وإخراج : دار سراج .
تمت المراجعة والتصحيح والإخراج في دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع .

تطلب منشوراتنا على العنوان التالي :
دار الرازي
ص.ب ٩٢٧٦٠١ عمان ١١١٩٠ الاردن
تلفاكس : ٤٦٤٦١٠٦
E-mail:al-razi@iname.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ناصر المجاهدين، ورافع راية الموحدين المخلصين، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمدٍ قائد الغر المحجلين، وإمام المتطهرين، وعلىٰ آله وأصحابه البواسل الشهداء الطاهرين، والشرفاء المهتدين.

أما بعد:

فيحتضن الأردن مقامات ثلة من شهداء الصحابة الكرام، ارتفعت أرواحهم الطاهرة من أجسادهم إلىٰ باريها عبر أثيره، وارتوت أرضه بدمائهم، وضم ثراه أجسادهم النيّرة، فارتفع بهم وتسامىٰ، وارتقىٰ بآثارهم وأمجادهم وبطولاتهم حتىٰ قارب عنان السماء؛ فمن السابقين الأوائل تشرفت أرض الأغوار بأمين الأمة أبي عبيدة، وتزينت أرض اليرموك بالحارث بن هشام، وفي مؤتة ضمّ ثراها بواسل شجعان، منهم حبّ النبي ﷺ زيد بن حارثة، وذو الجناحين الهاشمي، الطيار المكرم، الفذ المعظم، وشاعر الدعوة الإسلامية الذاب عن الدين بالسنان واللسان عبد الله بن رواحة، وسفير النبي ﷺ حامل رسالة النبي الكريم وخطاباته الحارث ابن عمير الأزدي، وأعلم الأمة بالحلال والحرام معاذ بن جبل، بالإضافة إلىٰ الكثير ممن غابت أسماؤهم ولم تغب أجسادهم فسطر التاريخ من أفعالهم ما يغني عن تحديد مقاماتهم وأضرحتهم.

إن الأردنيين ما زالوا بتلك الأمجاد والآثار محتفين محتفلين، يرفعون المآذن والقباب، ويشيّدون المقامات والآثار، ويرسمون السير والأمجاد، ويسطرون البطولات بماء الذهب، ويفتخرون بالثلة الطاهرة النقية، ولسان حالهم يقول:

أُولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ومن ثمّ ارتأيت استعراض تلك المكرمات الإلهية، واستنطاق بطولات الأجداد، وتشيد صروح المجد التي بدت جلية في جنوب بلدي وشماله ووسطه، فآثرت جمع خِلالهم وأوصافهم وطريقة استشهادهم في كتيب؛ يحكي حالهم، ويصور علاماتهم، وينطق بألسنتهم، ويكتب بأقلامهم، ليكون نبراساً يسير عليه من يبتغي الهداية ويطلب الرشاد إلىٰ سواء السبيل، وليكون فخراً للمفتخرين، ونموذجاً للمقتدين.

وتحيرت بمن أبدأ؟ أبأقدمية الإسلام، أم بأسبقية الاستشهاد، واستقر الأمر علىٰ الابتداء بالأسبق إلىٰ الشهادة، ومن كان استشهاده لعهد النبي ﷺ هو الأقرب، واستعرضت التاريخ فوجدت بداية دخول الصحابة أرض الأردن لغاية الجهاد والاستشهاد كانت في السنة الثامنة للهجرة، وفيها سرية كعب بن عمير الغفاري[1] ومقتل الحارث بن عمير الأزدي[2]، وبقي الإشكال قائماً في أيهما أسبق، وبالتأمل وجدت أن مقتل الحارث الأزدي كان سبباً في غزوة مؤتة[3] مما يدل دلالة واضحة علىٰ أن استشهاد الغفاري كان قبل استشهاد الأزدي، وكلاهما في السنة الثامنة وقبل مؤتة والله تعالىٰ أعلم.

وقبل الشروع باستعراض سير الصحابة الزكية قدمت نبذاً عن المراد بالصحابي وبالشهيد، وكيف كانت أرض الأردن مباركة.

ولن أضع القلم حتىٰ أعتذر عن الهفوات والنقص إن حصل، رغم أني التزمت إبان المسيرة الاستيعاب والتقصي، فلم أدخر جهداً في سبيل الإحاطة بما يتطلبه هذا البحث الشيق، وآمل ممن قرأ هذا الكتاب فوجد فيه نقصاً أن يتم نقصي بإرشادي، والله الهادي إلىٰ سواء السبيل.

المؤلف

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» (٣:١٠٣).
(٢) «نهاية الأرب للنويري» (١٧ : ٢٧٧).
(٣) «تهذيب تاريخ دمشق» (١ : ٩٤).

من هو الصحابي؟؟

الصحبة في اللغة: الملازمة والمرافقة والمعاشرة[1]. والمراد بها اصطلاحاً: صحبة النبي ﷺ[2] وملازمته، وهذا شرف عظيم، إذ يرتقي الصحابة بين الخلائق بالصحبة مرتبة فائقة عالية، ومكانة لائقة بالنبي ﷺ ومحبيه، وهم مناط مدح الله سبحانه وتعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

من هنا اختلف أهل العلم فيما تثبت به الصحبة، والأصح أنّ الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات علىٰ الإسلام، فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له ومن قصرت، ومن روىٰ عنه، ومن لم يرو عنه، ومن غزا معه ومن لم يغزُ معه، ولا يدخل من لقي النبي ﷺ من أهل الكفر، ومن ارتد عن الإسلام بعد النبي ﷺ.

وأكثر العلماء علىٰ عدم اشتراط التمييز عند الرؤية، وبعضهم يرىٰ أنه لا يُعد من الصحابة إلا من أقام مع النبي ﷺ مدة سنة فصاعداً[3].

وبعض العلماء لا يشترط لقيا النبي ﷺ؛ فيعدون النجاشي من الصحابة، وفروة الجذامي[4] وغيرهما، وقد سرت في هذا الكتاب علىٰ اعتبار الصحابي: هو المؤمن المعاصر للنبي ﷺ الذي مات علىٰ إيمانه.

---

(١) «لسان العرب» (١:٥١٩).

(٢) «الإصابة» (١:٧)، «فتح الباري» (٤:٧).

(٣) انظر تفصيل الأقوال في الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦:٣١٢).

(٤) سيأتي الحديث عنه ضمن شهداء الصحابة علىٰ أرض الأردن بإذن الله.

لقد اتفق أهل السنة علىٰ أن جميع الصحابة عدول، لكون الله تعالىٰ اختارهم ليكونوا أصحاب وأنصار نبيه ﷺ، وأخبر عن طهارتهم، ومثلهم بأجمل الصور، ووصفهم بأحسن الأوصاف، فإذا أضفنا إلىٰ صحبتهم الشهادة في سبيل الله تعالىٰ ازدادوا بهاءً وعظمةً وجمالاً.

ومن كان هذا حاله فلا يجوز الانتقاص من مقداره، ومن فعلها فهو المذموم الملام، روي بسنده إلىٰ أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ ذلك أن الرسول حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدىٰ إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا؛ ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولىٰ، وهم زنادقة[1].

فالمطلوب طلب رضىٰ الرحمٰن عليهم، ورفع درجتهم، وتحقيق أملهم، ونيل مطلبهم، فغاية رغبتهم أن ينال نبيهم ﷺ الوسيلة التي لا تنبغي لغيره، وأن يكونوا معه ومع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.



(١) انظر: «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي ص٤٦-٤٩.

الشهيد فضله وأنواعه

الشهيد صنف مبجل من أصناف أهل الجنة، المنعمين فيها والمكرمين بإنعام الله سبحانه وتعالىٰ عليهم وإكرامه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، والشهداء مبشرون بحياة عند ربهم يرزقون؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]؛ فالشهادة مرتبة عظيمة، وجائزة مبهجة، وتكرمة للشهيد ولسبعين من أهله؛ يشفع لهم عند الله، فيسعدون بقبول شفاعته ويفرحون؛ قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٧٠ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٠-١٧١]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ۝٥٨ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [الحج: ٥٨-٥٩].

ومن هنا نجد الشهيد تواقاً للعودة ليموت شهيداً مرة ثانية، في الوقت الذي لا يتمنىٰ العودة إلىٰ الدنيا من وجد عند الله خيراً؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد يموت له عند الله خير يسرّه أن يرجع إلىٰ الدنيا، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد؛ لما يرىٰ من فضل الشهادة، فإنه يسره أن يرجع إلىٰ الدنيا فيقتل مرة أخرىٰ»(١)، وفي رواية أخرىٰ: «فيقتل عشر مرات لما يرىٰ من الكرامة»(٢).

الشهداء علىٰ ثلاثة أقسام:

الأول: شهيد الدنيا والآخرة؛ وهو الذي يقاتل الكفار فيقتل إبان القتال مقبلاً غير مدبر، لتبقىٰ كلمة الله هي العليا، ولتكون كلمة الذين كفروا هي السفلىٰ،

---

(١) رواه البخاري في الجهاد برقم ٢٧٩٥.

(٢) الرواية في البخاري برقم ٢٨١٧.

ودون غرض من أغراض الدنيا؛ ففي الحديث الشريف الذي يرويه أبو موسىٰ الأشعري رضي الله عنه أن رجلاً أتىٰ النبي ﷺ فقال مستفهماً: الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرىٰ مكانه فمن في سبيل الله؟ قال عليه الصلاة والسلام: «من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[1]، وهؤلاء مكرمون عند الله سبحانه وتعالىٰ، وموعودون بالأجر العظيم والفضل العميم، قال تعالىٰ: ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

الثاني: شهيد الدنيا: وهو من قُتل في قتالٍ مع الكفار لغرض من أغراض الدنيا، أو قاتل رياءً، أو غلّ من الغنيمة، وهؤلاء علمهم عند الله سبحانه وتعالىٰ، لا ينتفعون بموتهم، ولا يسعدون في آخرتهم، والله أعلم بمصيرهم وعاقبتهم عنده، ولذلك تجري عليهم أحكام الشهيد في الدنيا فقط.

الثالث: شهيد الآخرة، وهو المقتول ظلماً من غير قتال، والميت بداء البطن، والميت في الغربة، وطالب العلم إذا مات في طلبه، والميت بداء الطاعون[2]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله»[3].

هذه أقسام الشهداء[4]، ومن القسمين الأول والثالث استشهد علىٰ أرض الأردن عدد من الصحابة الأجلاء، وأما القسم الثاني ـ شهيد الدنيا ـ فموكول إلىٰ الله تعالىٰ لا يمكن تحديد من مات علىٰ هذه الصفة من الناس والله تعالىٰ أعلم.



---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الجهاد حديث رقم ٢٨١٠.

(٢) «مغني المحتاج» (١: ٣٥٠).

(٣) رواه البخاري كتاب الجهاد حديث ٢٨٢٩.

(٤) انظر تفصيل ذلك في الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٦: ٢٧٣).

أرض الأردن مباركة

الأردن - بالضم ثم السكون وتشديد النون - في لغة العرب النعاس الغالب، قال أبَاق الدُّبيري[(١)]:

قــد أخــذتنــي نعســة أردن ومــوهــب مبــز بهــا مصــن[(٢)]

ولعل تسمية الأردن البلد بهذا الاسم لطيب هوائه؛ ويؤيده قول النووي رحمه الله: قال محمد بن جعفر الهمداني النحوي في كتابه اشتقاق أسماء البلدان: قال أهل العلم: إنما سمي بذلك في قولهم للنعاس الثقيل أردن، فسمي بذلك لثقل هوائه، فسمي بالنعاس المخثر جسم صاحبه[(٣)] انتهىٰ.

وقال ياقوت الحموي: الظاهر ان الأردن الشدة والغلبة[(٤)].

ويقول أهل السير: الأردن وفلسطين أبناء سام بن أرم بن سام بن نوح عليه السلام[(٥)].

والأردن قديماً يطلق علىٰ الأردن اليوم وفلسطين وأرض من الشام، وكانت مشهورة بالخصب، حتىٰ عدت من العالم جنة، ومن هنا نجد كفار مكة يقولون للنبي ﷺ تحدياً: اجعل لنا جناناً كجنان الأردن، وصور الله تعالىٰ قولهم في القرآن: ﴿وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٠-٩١].

فالأردن سابقاً جزء واسع من أرض الشام، ويقال لها: أرض الروم، أرسل إليها رسول الله ﷺ جيشاً للانتقام لمقتل الحارث بن عمير الأزدي، الذي قتل ظلماً، إذ كان سفيراً لرسول الله ﷺ وحاملاً لرسالته، والعادة تقتضي المحافظة

---

(١) انظر «الصحاح» للجوهري (٥:٢١٢٢)، «لسان العرب» لابن منظور (١٣:١٧٨).

(٢) قال ابن منظور: قوله: مبز أي: قوي عليها، يقول: إن موهباً صبور علىٰ دفع النوم وإن كان شديد النعاس. انظر: «لسان العرب» (١٣:١٧٨).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (٣:١٨).

(٤) «معجم البلدان» (١:١٤٧).

(٥) نقل هذا القول ياقوت الحموي في كتابه «معجم البلدان» (١:١٤٧).

علىٰ سلامة الرسل السفراء. ولكنه اختير شهيداً علىٰ أرض الأردن ـ سيأتي الحديث عن سيرته بإذن الله تعالىٰ ـ ليكون سبباً في غزوة مؤتة، تلك الغزوة التي عدت كرامة عجيبة خارقة، استشهد خلالها ثلاثة عشر شهيداً، منهم الهاشمي الأول جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه ليكون أول الهاشميين الأخيار استشهاداً علىٰ هذه الأرض المباركة، ثم توالت كواكب الهاشميين علىٰ أرض الأردن، وما زالوا يحمون الأرض، ويعشقون الأقصىٰ، ويستشهدون علىٰ أسواره، ويتعلقون بترابه حتىٰ يقضي الله تعالىٰ أمراً كان مفعولاً.

ولا تزال أرض الأردن كسائر أرض الشام خصباً وخيراً ووفرة، وما زالت محط الأنظار، يتسابق الاستعمار عليها لابتزاز خيراتها والفوز بطيب هوائها.

يحتل الأردن في وسط العالمين الإسلامي والعربي مركزاً استراتيجياً مرموقاً، كدأبه في جميع العصور، منذ أن افتتحه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنه في العام الثالث عشر من هجرة المصطفىٰ ﷺ، ففي خلافة الصديق رضي الله عنه افتتح الأردن شرحبيل عنوة ما خلا طبرية، فإن أهلها صالحوه علىٰ أنصاف منازلهم وكنائسهم، وكان فتحه طبرية بعد أن حاصر أهلها أياماً فآمنهم علىٰ أنفسهم وأموالهم وكنائسهم إلا ما جلوا عنه وخلوه، واستثنىٰ لمسجد المسلمين موضعاً، ثم أنهم نقضوا في خلافة عمر رضي الله عنه، واجتمع إليهم قوم من سواد الروم وغيرهم، فسير إليهم أبو عبيدة عمراً بن العاص رضي الله عنه في أربعة آلاف ففتحها علىٰ مثل صلح شرحبيل، وكذلك جميع مدن الأردن وحصونها علىٰ هذا الصلح، فتحاً يسيراً بغير قتال، وزاره الخليفة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين في طريقه إلىٰ بيت المقدس.

وقد نسب إلىٰ الأردن جماعة من العلماء وافرة[1] منهم حسان بن مالك الكلبي، والوليد بن مسلمة الأردني، وأبو سلمة الحكم بن عبد الله بن خطاف الأردني.

وبرزت أهمية الأردن خاصة إبان الحروب الصليبية، فنشأت بها دويلات، وحصون، ومعاقل تبادلها الصليبيون والمسلمون[2].

---

(١) «معجم البلدان» ياقوت الحموي (١: ١٤٨).

(٢) «القاموس الإسلامي» أحمد عطية (١: ٦٦).

والحاصل أن الأردن من الأرض المباركة، التي تقررت بركتها بالقرآن الكريم فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، والأردن حول الأقصىٰ، إن لم يكن الأقصىٰ وسطه، وأما بركته فجوانبها متعددة، قال الطبري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾: يقول تعالىٰ ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لسكانه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم[١]، وقال الماوردي: فيه قولان: أحدهما: يعني بالثمار ومجاري الأنهار، والثاني: بمن جعل حوله من الأنبياء والصالحين، ولهذا جعله مقدساً[٢]، وزاد الألوسي فذكر أنه متعبد الأنبياء وقبلة لهم وفي الحديث «أنه تعالىٰ بارك فيما بين العريش إلىٰ الفرات وخص فلسطين بالتقديس»[٣].

لقد ورد في حديث النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تعالىٰ: «يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل إليك صفوتي من عبادي»[٤]، والشام مصطلح يشمل أرض الأردن، كما جاء في البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام[٥].

ومن ثم وصفت بأنها أرض طيبة مباركة، ضمت في أحضانها من الأنبياء والشهداء ما لا يعلم عددهم إلا الله سبحانه وتعالىٰ، وأغدق عليها الخيرات، التي كانت سبباً في الطمع فيها، فتناهشها الاستعمار، وتكالب عليها الحاسدون.

وفي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١]. والأرض هنا أبواب بيت المقدس وما حولها، وفي الحديث: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون علىٰ أبواب دمشق وما حولها، وعلىٰ أبواب بيت المقدس وما حولها لا يضرهم خذلان من خذلهم ظاهرين علىٰ الحق إلىٰ يوم القيامة»[٦].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨: ١٧).
(٢) «النكت والعيون» للماوردي (٣: ٢٢٦).
(٣) «روح المعاني» للألوسي (٥: ١١)، وانظر كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل مجد الدين الحنبلي (١: ٢٢٨).
(٤) رواه أبو داود برقم ٢٤٨٣، وانظر «مجمع الزوائد» (١٠: ٥٩).
(٥) صحيح البخاري كتاب المغازي ٦٤ باب ٤٤.
(٦) أخرجه تمام الرازي في فوائده، انظر: «القرىٰ لقاصد أم القرىٰ» محب الدين الطبري ص٦٩٥.

شهداء ذات أطلاح أوائل الشهداء
كعب بن عمير الغفاري وأصحابه

تقع ذات أطلاح قرب الطفيلة في الأردن، وصفها ياقوت الحموي[1] بأنها وراء ذات القرىٰ، وفي الإصابة[2]: من أرض البلقاء، وفي خطط الشام[3]: بين تبوك وأذرعات.

نزلت فيها قبائل قضاعة، تطلب المتسع من المعاش، قال شاعرهم[4]:

وقد نزلت منا قضاعة منزلاً بعيداً فأمست في بلاد الصنوبر

أرسل إليها رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفاري[5] وهو من كبار الصحابة، كان رسول الله ﷺ يبعثه مرة بعد مرة علىٰ السرايا، وفي السنة الثامنة بعد هجرة المصطفىٰ ﷺ بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ ذات أطلاح، قال الطبري[6]: «في شهر ربيع الأول من السنة الثامنة كانت سرية عمرو بن كعب الغفاري إلىٰ ذات أطلاح»، كذا قال ابن جرير، والصواب ما أثبتت كتب التراجم أنه كعب بن عمير، وقال ابن جرير: خرج في خمسة عشر رجلاً حتىٰ انتهىٰ إلىٰ ذات أطلاح، فوجد جمعاً كثيراً فدعوهم إلىٰ الإسلام فأبوا أن يجيبوا فقتلوا أصحاب عمرو جميعاً، وتحامل[7] حتىٰ بلغ المدينة، قال الواقدي: وذات أطلاح من ناحية الشام وكانوا من قضاعة، ورأسهم رجل يقال له: سدوس.

---

(١) «معجم البلدان» ياقوت الحموي (١:٢١٨).

(٢) «الإصابة» (٣:٣٠١).

(٣) خطط الشام محمد كرد علي (١:٢٤).

(٤) انظر خطط الشام (١:٧٣).

(٥) ترجمة في: «الاستيعاب» (٣:١٣٢٣)، «أسد الغابة» (٤:٢٤٦)، «الإصابة» (٣:٣٠١).

(٦) «تاريخ الأمم والملوك» (٣:١٠٣).

(٧) أي تحامل عمرو، وفي كتب التاريخ الأخرىٰ أن الذي أتىٰ رسول الله ﷺ في المدينة رجل منهم، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله.

ونقل ابن سعد[1] عن الزهري أن الغفاري وأصحابه لما بلغوا ذات أطلاح من أرض الشام وجدوا جمعاً من جمعهم كثيراً، فدعوهم إلىٰ الإسلام فلم يستجيبوا لهم، ورشقوهم بالنبل، فلما رأىٰ ذلك أصحاب رسول الله ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتىٰ قتلوا، وأفلت منهم رجل جريح في القتلىٰ، فلما برد عليه الليل تحامل حتىٰ أتىٰ رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فشق ذلك عليه، وهم بالبعث إليهم - إلىٰ قضاعة - فبلغه أنهم قد ساروا إلىٰ موضع آخر فتركهم[2].

لقد كانت هذه الحادثة في السنة الثامنة، وهي السنة التي قتل فيها الحارث بن عمير الأزدي، والذي كان قتله سبباً في غزوة مؤتة الشهيرة، فلعل حادثة ذات أطلاح كانت قبل مقتل الحارث والله تعالىٰ أعلم.

والظاهر أن سبب هذه السرية غير معروف، قال برهان الدين الحلبي: لم أقف علىٰ السبب الذي اقتضىٰ البعث إلىٰ ذلك المحل[3].

إن المتأمل في أفراد هذه السرية الأبطال ليتأكد لديه صدق عزيمة السلف الأبرار، وقوة شكيمتهم، واختيارهم الحياة الآخرة علىٰ الدنيا الفانية؛ إذ كيف يقف النفر الذين لم يتجاوزوا العشرين أمام قبائل قضاعة وهم ببلادهم، وعلىٰ أرضهم، وبين أهليهم، والمسلمون مسافرون وبلا مأوىٰ ولا وفرة زاد، ولا كثرة عدة وعتاد! لكنهم يملكون من العقيدة وحب الاستشهاد، والتطلع إلىٰ إحدىٰ الحسنيين ما يفوق عدد الكفرة وعدتهم، وبهذا كانوا ينتصرون، ويتفوقون، أنه الدين الذي أكرمهم الله تعالىٰ به.

وكدأبه لم يذكر التاريخ غير العدد[4] اكتفاء بالأفعال بدل الاشتهار، والحظ الأوفر للأرض تباركت بأجسادهم وتعطرت بأفعالهم، وكريم خصالهم، فعليهم وعلىٰ شهدائنا الأبرار الرحمة والرضوان.

---

(١) «الطبقات» (٢: ١٢٧).

(٢) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٤: ٢٤١).

(٣) انظر: «السيرة الحلبية» (٣: ١٩٠).

(٤) لغاية إعداد هذا الكتاب لم أتعرف علىٰ أسماء الصحابة الشهداء علىٰ أرض ذات أطلاح، فإن تسنىٰ لي ذلك - ومن الله أرجوه - مستقبلاً أثبته.

من أوائل الشهداء
الحارث بن عمير الأزدي رضي الله عنه[1]

من أوائل شهداء الصحابة علىٰ أرض الأردن سفير من الرسل والسفراء، الذين وجههم رسول الله ﷺ إلىٰ الملوك والأمراء، ففي السنة الثامنة بعد الهجرة الشريفة[2] بعث الرسول ﷺ الحارث بن عمير الأزدي أحد بني لهب ـ بكسر اللام وسكون الهاء[3] ـ بكتابه إلىٰ ملك بصرىٰ الشام[4] التابع لقيصر ملك الروم وأحد أمرائه[5]، وقيل إلىٰ هرقل عظيم الروم بالشام[6]، فلما نزل الصحابي رضي الله عنه اللهبي الأزدي أرض حاكم مؤتة جنوب الأردن عرض له شرحبيل بن عمرو الغساني، وقال له: أين تريد؟ لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، فأوثقه رباطاً، ولم يثنه تعذيب الغساني عن مواصلة دعوته بجرأة وشجاعة وإقدام، فقدم وضربت عنقه، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره، ولم تجر العادة بقتل الرسل والسفراء عند الملوك والأمراء مهما اشتد الخلاف، ومهما كرهت الرسالة التي يحملونها.

إن المتأمل في صبر الصحابي الشهيد وعزيمته ليتأكد لديه مدىٰ عناية النبي ﷺ بأصحابه وتربيته لهم، كما يتأكد لديه ثمرة الإيمان إذا استقر في النفس، وتمكّن من القلب، وكأن لسان حاله يقول ما قاله الذين آمنوا من سحرة فرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

---

(١) انظر: ترجمته في «الإصابة» (١: ٢٨٦)، «أسد الغابة» (١: ٣٤٢)، «زاد المعاد» (٣: ٣٨١).

(٢) نهاية الأرب للنويري (١٧: ٢٧٧).

(٣) نسبة إلىٰ لهب، بطن من الأزد، يعرفون بالعيافة. انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (٣: ١٣٧).

(٤) بصرىٰ الشام، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً وهي غير بصرىٰ العراق. انظر: «معجم البلدان» (١: ٤٤١).

(٥) «فتح الباري» (٧: ٥١١).

(٦) انظر: «السيرة الحلبية» (٧: ٦٦).

ولما كان هذا الحادث غير محتمل، ولا يجوز التغاضي عنه، لما فيه من الخطر والإهانة، كان لا بد من تأديب المعتدي، والغضب للمُعتدى عليه، حتىٰ لا تهون حياة السفراء ولا تتكرر هذه المأساة[1].

إن الدماء الزكية التي نزفت من الحارث الأزدي لم تذهب هدراً، فقد تطيب بها ثرىٰ الأردن أولاً، وانتقم لها رسول الله ﷺ ثانياً؛ إذ لما اتصل خبره برسول الله ﷺ اشتد ذلك عليه، وندب الناس فأسرعوا وعسكروا بالجرف علىٰ بعد ثلاثة أميال من المدينة المنورة، وعقد لهم رسول الله ﷺ اللواء الأبيض وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير ويدعو من هناك إلىٰ الإسلام فإن أجابوا وإلا استعانوا عليهم بالله تبارك وتعالىٰ وليقولوا: بسم الله، وقال لهم رسول الله ﷺ «أغزوا بسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام»[2].

إن التاريخ لم يرو لنا من سيرة هذا الصحابي وصفاته الكثير ولعل قصر مدة صحبته لرسول الله ﷺ كانت عائقاً عن تتبع آثاره، واستكشاف خلاله وفضائله، ولكن الذي وصلنا كفانا وزاد، فاختيار النبي ﷺ له حاملاً لرسالته، وصبره علىٰ دعوته حتىٰ لقي ربه شهيداً كافيان لإظهار فضله وسبقه، إنه من السابقين المقربين.

ولعل من أقوىٰ الأدلة علىٰ حب المؤمنين له أنه لما نودي للثأر له اجتمع ثلاثة آلاف من المجاهدين، يحملون الخير، وينشرون البر، ويعشقون الصبر.

وسارت جحافل المؤمنين للثأر لمقتل الحارث رضي الله عنه يتقدمهم زيد بن حارثة حب النبي ﷺ، ليكون الشهيد التالي من شهداء الصحابة الكرام في الأردن.



(١) «السيرة النبوية» للندوي ٣٦٢.

(٢) انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» (١: ٩٤).

غزوة مؤتة

ورياض شهدائها

مؤتة ـ بضم الميم وسكون الواو المهموزة، وقيل: بغير همز ـ قرية عريقة، يذكرها المؤرخون علىٰ أنها من قرىٰ البلقاء[1] وقد ورد في ترجمة الإمام البخاري، باب غزوة مؤتة من أرض الشام[2] وقيل: من مشارف الشام وبها كانت تطبع السيوف، وإليها تنسب المشرفية من السيوف، قال كثير:

إذا الناس ساموكم من الأمر خطة ... لها خطمة فيها السمام المثمل

أبىٰ الله للشم الأنوف كأنهم ... صوارم يجلوها بمؤتة صيقل[3]

وهي اليوم مدينة، تضم في جنباتها جامعة مؤتة، تشيد ما أسسه الصحابة الكرام علىٰ أرضها، وترفع مقاماتهم، وتعلي مآذنهم، وتوثق علاقة الخلف بسلفهم الأبرار.

دارت علىٰ أرضها معركة عظيمة ـ سبق ذكر سببها عند الحديث عن الحارث الأزدي رضي الله عنه ـ إذ بعد عمرة القضاء أقام النبي ﷺ بالمدينة حتىٰ بعث إلىٰ مؤتة في جمادىٰ الأولىٰ سنة ثمان من هجرة النبي ﷺ[4] وذلك بعد أن دعا الناس فعسكروا بالجرف قرب المدينة، وتهيأوا للخروج، وأمر رسول الله ﷺ الأمراء، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أمر رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة زيد بن حارثة، فقال رسول الله ﷺ: «إن قتل زيد فجعفر، وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة»[5].

---

(١) «معجم البلدان» ياقوت الحموي (٥:٢١٩).

(٢) صحيح البخاري: كتاب المغازي رقم ٦٤ باب ٤٤.

(٣) «معجم البلدان» (٥:٢١٩).

(٤) انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» (١:٩٢)، «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢:١٥٨)، «البداية والنهاية» (٤:٢٤١).

(٥) رواه البخاري: كتاب المغازي حديث رقم (٤٢٦١).

لقد اختار رسول الله ﷺ من أقاربه، وأحبابه، وأنصاره، فاختارهم الله سبحانه وتعالىٰ شهداء علىٰ أرض مؤتة.

إنه لتكريم عظيم، أن يدفن في الأردن من خيار الناس وأرفعهم، قال حسان ابن ثابت رضي الله عنه فيهم:

فلا يبعدن الله قتلىٰ تتابعوا بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله هم خير عصبة تواصوا وأسباب المنية تنظر[١]

وخرج رسول الله ﷺ معهم مشيعاً حتىٰ بلغ ثنية الوداع، فوقف، ووقفوا حوله، ووصاهم بالغزو في سبيل الله، ومقاتلة أعداء الله، ونهاهم عن قتل النساء والصبيان، وعن حرق النخل وقطع الشجر، وهدم البناء، وغير ذلك مما يعبر عن أهداف الجهاد وغاياته، وأخلاق النبي ﷺ، ونقاء سريرته، وعفوه، وحلمه، ورأفته، ورحمته.

وسار الجيش حتىٰ بلغوا معان فأقاموا بها يومين، وبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب من أرض البلقاء بمائة ألف من الروم ومائة ألف من نصارىٰ العرب، قال عبد الله بن رواحة في ذلك:

أقامت[٢] ليلتين علىٰ معان فأعقبت بعد فترتها جموم

فرحنا والجياد مسومات تنفس في مناخرها سموم

فلا وأبي مآب لنأتينها وإن كانت بها عرب وروم[٣]

ولما رأىٰ المسلمون كثرتهم قالوا: نبعث إلىٰ رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا، فحثهم عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، فتقدم المسلمون، والتقىٰ الجيشان، وجلس رسول الله ﷺ ينظر إلىٰ معركتهم، ويخبر عنهم، وعن مقتل أمرائهم، حتىٰ أخذ الراية خالد بن الوليد رضي الله عنه، ولم يكن من الأمراء،

---

(١) «معجم البلدان» (٥: ٢٢٠).

(٢) أي: أقامت الخيل التي سارت إلىٰ الروم.

(٣) «البداية والنهاية» (٤: ٢٤٣).

فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إنه سيف من سيوفك فأنت تنصره»[1] فمن يومئذ سمي سيف الله، ففتح الله عليه، وانحاز بالمسلمين، حتىٰ رجعوا سالمين بعد أن انكشف عدوهم منهزمين، خائفين، لقد فتح الله تعالىٰ علىٰ خالد بن الوليد رضي الله عنه فجعل المقدمة ساقه ـ مشاة ـ والميمنة ميسرة، فأنكر العدو حالهم، وقالوا: جاءهم مدد، فرعبوا وانكشفوا، وأصاب منهم المسلمون، وغنموا بعض أمتعة المشركين.

وقدم يعلىٰ بن أمية بخبر أهل مؤتة، فقال رسول الله ﷺ: إن شئت فأخبرني، وإن شئت أخبرك، قال: فأخبرني، فأخبره خبرهم، فقال: والذي بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفاً لم تذكره[2].

وانحاز خالد بن الوليد بالجيش ومر في طريقه علىٰ أهل قرية في حصن كانوا شدوا علىٰ المسلمين في القتال، فحاصرهم، وفتح حصنهم عنوة، وقتل مقاتلتهم في نقيع إلىٰ جانب حصنهم، فسمي ذلك النقيع نقيع الدم إلىٰ اليوم، كذا قال ابن عساكر[3].

وعاد خالد بن الوليد سالماً، والمسلمون معه نجاهم الله تعالىٰ ليفوزوا بقول النبي ﷺ: إنهم الكرار إن شاء الله، وتركوا لنا كنوزاً، من الشهداء الأبرار الأخيار، وفيهم قال كعب بن مالك:

صلىٰ الإلٰه عليهم من فتية ... وسقىٰ عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الردىٰ وحفيظة أن ينكلوا[4]
فمضوا أمام المؤمنين كأنهم ... فنق[5] عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول[6]

أولئك الذين سأبدأ ـ بإذن الله تعالىٰ ـ سيرتهم وأمجادهم وبطولاتهم.

---

(١) «فتح الباري» (٧: ٥١٣).
(٢) «فتح الباري» (٧: ٥١٣).
(٣) انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» (١: ٩٩).
(٤) الحفيظة: الغضب، والنكل: الجبن، أي: وغضباً من أن يجبنوا.
(٥) الفنق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.
(٦) «تهذيب تاريخ دمشق» (١: ١٠٢).

أول شهداء مؤتة

زيد بن حارثة رضي الله عنه[1]

أول شهداء مؤتة الأمير الشهيد النبوي، حب رسول الله ﷺ وأبو حبه أبو أسامة، الكلبي، المسمّىٰ في سورة الأحزاب باسمه، ولم يُسم الله تعالىٰ في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة، وما ذلك إلا لحب الله تعالىٰ له، وأمّا حبُّ رسول الله ﷺ فيشهد له ما ذكره ابن عمر رضي الله عنهما إذ قال: فرض عمر لأسامة بن زيد أكثر مما فرض لي، فكلمته في ذلك فقال: إنّه كان أحب إلىٰ رسول الله منك، وإن أباه كان أحبّ إلىٰ رسول الله من أبيك[2].

آخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب، وقدّمه في الإمرة علىٰ ابن عمه جعفر ابن أبي طالب، وذلك في غزوة مؤتة، تلك الغزوة التي كانت سبب دخول زيد أرض الأردن، إذ عقد رسول الله ﷺ لزيد راية بيضاء، وقدّمه علىٰ الأمراء، لينتقم للشهيد الأول الحارث بن عمير الأزدي، ورافقه إلىٰ ثنية الوداع علىٰ أبواب المدينة المنورة، ووصّاه قائلاً له وللأمراء معه: «أوصيكم بتقوىٰ الله وبمن معكم من المسلمين خيراً، اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوّكم بالشام، وستجدون فيها رجالاً في الصّوامع معتزلين، فلا تتعرضوا لهم، ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء»[3].

ولمّا التقىٰ الجمعان. وكان الأمراء الثلاثة زيد وجعفر ابن أبي طالب وعبد الله بن رواحة يقاتلون علىٰ أرجلهم، أخذ زيد اللّواء فقاتل حتىٰ شاط في رماح القوم، فقُتل طعناً، وخرّ صريعاً، ويُذكر أنه لمّا أخذ الرّاية جاءه الشيطان فحبب إليه

---

(١) انظر: ترجمة في التاريخ الكبير (٣: ٣٩٠)، «الاستيعاب» (٤: ٤٧)، «أسد الغابة» (٢: ٢٨١)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١: ٢٠٢)، «الإصابة» (٤: ٤٧)، «سير النبلاء» (١: ٢٢٠).

(٢) انظر: «سير النبلاء» (١: ٢٢٨)، «الإصابة» (٤: ٥٠).

(٣) «السيرة الحلبية» (٣: ٦٦).

الحياة، وكرّه إليه الموت، فقال: الآن استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين تُحبب إليّ الدنيا![1] فمضىٰ قَرماً[2].

لقد جلس رسول الله ﷺ ذلك اليوم يصف حال المجاهدين. فلما نعىٰ ﷺ زيداً ـ أي دعا له ـ قال: «استغفروا لأخيكم قد دخل الجنة وهو يسعىٰ»[3].

إنه ابن خمس وخمسين سنة، يهجم علىٰ الجنة راجلاً، رافضاً الدنيا وقد تشوّفت إليه، وتزينت لديه، صابراً محتسباً إلىٰ أن دخل الجنّة ساعياً.

ويشتاق رسول الله ﷺ لزيد، ولقيت الرسول ﷺ ابنةُ زيد بعد مقتل أبيها، فأجهشت بالبكاء في وجهه فلما رآها رسول الله ﷺ بكىٰ حتىٰ انتحب، فقيل: ما هذا يا رسول الله؟ قال: شوق الحبيب إلىٰ الحبيب. وفي صحيح الإمام البخاري[4] عن أنس رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ نعىٰ زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم فقال: أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان، حتىٰ أخذ الراية سيف من سيوف الله حتىٰ فتح الله عليهم».

رضي الله عنك يا زيد بن حارثة، لقد أحبك رسول الله ﷺ قبل النبوة وبعدها، واختارك رسول الله ﷺ لما اخترته، إذ ذهبت أمك تزور أهلها، فأغارت عليهم خيل فأخذوك، فاشتراك حكيم بن حزام لعمّته خديجة رضي الله عنها، فوهبتك لرسول الله ﷺ قبل النبوة، فوجدك أبوك فخيّرك رسول الله ﷺ بينه وبين أبيك فقلت: ما أنا بالذي اختار عليك أحداً. فقال عليه السلام: أشهد أن زيداً ابني أرثه ويرثني، حتىٰ جاء الإسلام فأبطل التبني، وبقيت الحبيب، فهنيئاً لك حب رسول الله ﷺ وهنيئاً لك الجنة.

---

(١) «تهذيب تاريخ دمشق» لابن عساكر (١:٩٨).

(٢) القرم ـ بفتح القاف وسكون الراء ـ السيد المعظم من الرجال، ومن الإبل الفحل. انظر: «لسان العرب» (١٢:٤٧٣).

(٣) «سير النبلاء» (١:٢٢٩).

(٤) صحيح البخاري (٤٢٦٢).

ثاني شهداء مؤتة

ذو الجناحين جعفر الطيار[1]

ثاني شهداء مؤتة السيد الشهيد جعفر ابن أبي طالب رضي الله عنه، الكبير الشأن، علم المجاهدين، أبو عبد الله، ابن عم النبي ﷺ، أخو علي ابن أبي طالب كرّم الله وجهه وهو أسن منه بعشر سنين[2]، هاجر الهجرتين، وهاجر من الحبشة إلىٰ المدينة، فوافىٰ المسلمين وهم علىٰ خيبر إثر أخذها، فالتزمه رسول الله ﷺ، وقبّل بين عينيه، وقال: «ما أدري بأيهما أنا أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر»[3]، لقد كان له في الحبشة صولة وجولة، أدهشت النجاشي، حتىٰ تمنّىٰ أن يكون خادماً للنبي ﷺ وحاملاً لنعليه وموضئه.

إنّ جعفر ابن أبي طالب من شهداء آل بيت النبي ﷺ، وهو من شجرتهم، فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول لجعفر: «أشبه خَلْقُك خَلْقي، وأشبه خُلُقُك خُلُقي، فأنت مني ومن شجرتي»[4]. وأما جوده وكرمه فيصوِّره أبو هريرة رضي الله عنه إذ يقول: ما احتذىٰ النّعال ولا ركب المطايا بعد رسول الله ﷺ أفضل من جعفر ابن أبي طالب[5].

قدم جعفر رضي الله عنه الأردن في غزوة مؤتة، قائداً ثانياً للجيش، ولمّا أصيب القائد الأول زيد بن حارثة رضي الله عنه، أخذ جعفر اللواء الأبيض فشد علىٰ الناس حتىٰ قتل، وذلك بعد أن اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[6] وكان أول من عقر في الإسلام وقال:

---

(١) انظر: ترجمته في التاريخ الكبير (٢:١٨٥)، «حلية الأولياء» (١:١١٤)، «أسد الغابة» (١:٣٤١)، «تهذيب التهذيب» (٢:٩٨)، «شذرات الذهب» (١:١٢).

(٢) «سير النبلاء» (١:٢٠٦).

(٣) «طبقات ابن سعد» (١:٢٣).

(٤) رواه الإمام أحمد (٥:٢٠٣).

(٥) رواه الترمذي (٣٧٦٨).

(٦) رواه أبو داود (٢٥٧٣) في الجهاد.

يـا حبـذا الجنّـة واقتـرابهـا   طيبـــة وبـــارد شـــرابهـــا
والـروم روم قـد دنـا عـذابهـا   علــيّ إن لاقيتهــا ضِــرابهــا

لقد تناوشته سهام القوم، وطُعن وكثر فيه الطّعن، قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كنت فيهم في تلك الغزوة، فالتمسنا جعفر ابن أبي طالب فوجدناه في القتلىٰ، ووجدنا ما في جسده بضعاً وتسعين من طعنة ورمية»[1]، ولكن تلك الطعنات لم تُثنه عن قتاله، طمعاً في الشهادة وحرصاً علىٰ الراية حتىٰ تقطعت أطرافه، فأبدله الله تعالىٰ جناحين يطير بهما في الجنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رسول الله ﷺ جالس وأسماء بنت عميس[2] قريبة، إذ قال: «يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مر، فأخبرني أنّه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلّم فردي عليه السلام، وقال: إنه لقي المشركين فأصابه في مقاديمه ثلاث وسبعون، فأخذ اللواء بيده اليمنىٰ فقطعت، ثم أخذ باليسرىٰ فقطعت، قال: فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها»[3].

لقد حزن رسول الله ﷺ علىٰ قتله، وقال لأهله: «اصنعوا لآل جعفر طعاماً فقد شُغلوا عن أنفسهم»[4]، وما واساه إلا عندما رآه ملكاً يطير في الجنة مضرجة قوادمه بالدماء، فعليك رحمة الله يا من سموك أبا المساكين، لأنك كنت تذهب بهم إلىٰ بيتك، فإذا لم تجد لهم شيئاً أخرجت لهم عكة أثرها عسل فيشقونها ويلعقونها[5].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٢٦١)، «حلية الأولياء» (١: ١١٧).

(٢) أسماء بنت عميس تزوجت الصديق ثم جعفر ابن أبي طالب وتزوجت بعد وفاته علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، قال الشعبي: فتفاخر ابناها محمد بن جعفر، ومحمد ابن أبي بكر، فقال كل منهما: أبي خير من أبيك فقال علي: يا أسماء: أقضي بينهما، فقالت: ما رأيت شاباً كان خيراً من جعفر، ولا كهلاً خيراً من أبي بكر، فقال علي: ما تركت منها شيئاً ولو قلت غير هذا لمقتك فقالت: والله إن ثلاثة أنت أقلهم لخيار. انظر: «سير النبلاء» (١: ٢٠٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٢١٠).

(٤) رواه ابن ماجه (١٦١١).

(٥) رواه البخاري في فضائل الصحابة (٣٧٠٨).

ثالث شهداء مؤتة
عبد الله بن رواحة[1]

ثالث شهداء مؤتة الأمير السعيد الشهيد أبو عمرو الأنصاري الخزرجي البدري النقيب الشاعر[2]، عبد الله بن رواحة رضي الله عنه، كان إذا لقي الرجل من أصحابه يقول: «تعال بنا نؤمن ساعة»، فقاله يوماً لرجل فغضب، فجاء إلىٰ النبي ﷺ فقال يا رسول الله، ألا ترىٰ ابن رواحة يرغبُ عن إيمانك إلىٰ إيمان ساعة، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله ابن رواحة، إنه يحب المجالس التي تتباهىٰ بها الملائكة»[3]، هذا قول رسول الله صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم فيه.

أما أبو الدرداء رضي الله عنه وهو أخو عبد الله بن رواحة لأمه فقال: «إنا كنّا لنكون مع رسول الله ﷺ في السفر في اليوم الحار ما في القوم أحد صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة»[4]، لقد كان شهيدنا يحب الصيام إذا اشتد الحر، حتىٰ يضع الرجل يده علىٰ رأسه من شدته، ولا عجب، فإنه يبتغي الرواء إذا اشتد الظمأ، ولعل مما زاد في خوفه من ربه ما ذكره خاله النعمان بن بشير رضي الله عنه إذ قال: أُغمي علىٰ عبد الله بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكي وتقول: واجبلاه، واظهراه، واكذا، تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قُلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنت كذلك[5]. وفي رواية أن النبي ﷺ أتاه لما أغمي عليه فقال: «اللهم إن كان حضر أجله فيسر عليه وإلا فاشفه، فوجد خفة فقال يا رسول الله أمي قالت: واجبلاه، واظهراه، وملك رفع مرزبة من حديد يقول: أنت كذا، فلو قلت: نعم لقمعني بها»[6]، ولهذا كثر بكاؤه، وإن كان قد ذكر عن نفسه أنه كان

---

(١) انظر ترجمته في: «أسد الغابة» (٣: ٢٣٤)، «شذرات الذهب» (١: ١٢)، «حلية الأولياء» (١: ١١٨).

(٢) كذا قال الذهبي. انظر: «سير النبلاء» (١: ٢٣٠).

(٣) رواه أحمد (٣: ٢٦٥).

(٤) رواه البخاري في الصوم برقم (١٩٤٥).

(٥) رواه البخاري في المغازي برقم (٤٢٦٧).

(٦) ذكره الذهبي في «السير» (١: ٢٣٢).

يبكيه شيء آخر، إذ ذهب إلىٰ بيته فبكىٰ فجاءت امرأته فبكت لبكائه، فجاءت الخادمة فبكت، وجاء أهل البيت فجعلوا يبكون فلمّا انقطعت عبرتهم قال: يا أهلاه ما الذي أبكاكم؟ قالوا: لا ندري، ولكن رأيناك بكيت فبكينا، قال إنه أُنزلت علىٰ رسول الله ﷺ آية[1] ينبئني فيها ربي تبارك وتعالىٰ أني وارد النار، ولم ينبئني أني صادر عنها فذاك الذي أبكاني[2].

إنه الذي استُثني من قول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، إذ لما نزلت قال سائلاً رسول الله ﷺ: أنا منهم، فأنزل[3] الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وأما سبب دخوله الأردن فظاهر؛ إذ لما جهز النبي ﷺ الجيش إلىٰ مؤتة وأمر الأمراء جعل عبد الله بن رواحة ثالثهم، ولما استشهد صاحباه كرهت نفسه الإقدام، فأرغمها قائلاً:

أقسمت يا نفس لتنزلنه ... طائعة أو لا لتكرهنه

فطالما قد كنت مطمئنة ... مالي أراك تكرهين الجنة

فقاتل حتىٰ قُتل، رحمه الله تعالىٰ كما رحم الشهداء الأبرار.

رحمك الله يا أبا محمد، وأسكنك فسيح جناته، فإنك القائل: يا قوم والله إن الذي تكرهون للذي جئتم تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدد ولا عدة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، ومن أجل نصرة الدين قاتلت حتىٰ استشهدت روي أنه أتاه ابن عم له قبل مؤتة بعرق ـ العظم الذي عليه بعض اللحم ـ من لحم، فقال له: شد بهذا صلبك فقد لقيت أيامك هذه ما لقيت، فأخذه فانتهس ـ أخذ منه بفمه يسيراً ـ نهسة ثم سمع الحطمة في ناحية العسكر، فقال لنفسه وأنت في الدنيا، ثم ألقاه، وأخذ سيفه وتقدم فقاتل حتىٰ قتل[4].

---

(١) الآية هي قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١].

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٤: ٢٨٢).

(٣) أخرجه ابن سعد (٢: ٨١)، وانظر: «الدر المنثور» (٥: ٩٩).

(٤) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٢: ١٦٠).

الأنصاري الخزرجي

عبّاد بن قيس[1]

ومن شهداء مؤتة الأنصاري عباد بن قيس بن عبسة، الأنصاري، الخزرجي، لم تعرف له كنية، وليس له عقب ينشغل به.

لقد نذر عباد نفسه للقتال في سبيل الله، فشارك في غزوة بدر الكبرىٰ، وكان بها ممن تجلىٰ الله عليهم فقال: وجبت لكم الجنة[2]، وحضر عباد غزوة أحد ولا شك أنه وقف علىٰ جراحات المسلمين يومئذ، فزاده الموقف إصراراً وعزيمة ومضاء، وحضر يوم الخندق، وقد تآزر الكفر، واجتمعت الأحزاب من كل الجهات والأبواب، حتىٰ قال سبحانه في وصف المعركة وحال المؤمنين آنذاك: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ١٠-١١]، ولكن عبّاد فاز وتيقن نصر الله فقال ما قال المؤمنون: ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وشهد عباد الحديبية وبايع تحت الشجرة فرضي الله عنه كما رضي عن المؤمنين يومئذ، قال سبحانه: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، وشهد عبّاد خيبر، وشاهد الكرامات النبوية هناك، واستقر في نفسه أن الدين منصور، وأن كلمة الله سبحانه وتعالىٰ هي العليا.

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٣: ٥٣٣)، وسماه عبادة، «الاستيعاب» (٣: ٨٠٦)، «أسد الغابة» (٣: ١٠٣)، «الإصابة» (٢: ٢٦٦).

(٢) قال رسول الله ﷺ: «لعل الله اطلع علىٰ أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو قد غفرتُ لكم»، رواه البخاري من حديث علي رضي الله عنه في قصة حاطب: انظر البخاري (٣٦٨٤)، وصحيح مسلم (٤٥٥٠).

إنّ عبّاداً من عائلة كريمة، إذ هو من الأنصار أولاً، وأخوه سبيع بن قيس[1]، وهو من البدريين، كدأب أخيه، وهما عمّا أبي الدرداء[2]، الإمام، القدوة، المعدود فيمن جمع القرآن في حياة الرسول ﷺ، وترك التجارة التي كان يعشقها قبل الإسلام، لما رأىٰ عدم اجتماعها مع العبادة، فاختار العبادة علىٰ التجارة.

أما سبب دخول عباد رضي الله عنه أرض الأردن فكان للشهادة علىٰ أرضها، والمشاركة في قتال الروم فيها، والانتقام لمقتل الحارث بن عمير الأزدي.

وهكذا كان، إذ تشرفت أرض الأردن بمثواه العطر، ورسم عليها بدمائه الزكية أجمل صور لمشاهد القتال، إذ كان المجاهد المسلم يقابل في مؤتة ما يقارب الثلاثين من أهل الكفر، فأي صورة أجمل من هذه الصورة!

ومما يذكر هنا أنه لم يكن له ما يشغله عن مواصلة الجهاد، فليس له عقبٌ ينشغل به كما أسلفت، ولا مال عنده يتاجر به، ولا يعرفه أهل الدنيا بأمر من أمورها، ولعل هذا سبب من أسباب خفاء سيرته، فأراده الله سبحانه وتعالىٰ، واختاره شهيداً، ليكون معروفاً في الآخرة ويشفع لسبعين من أهله وأقاربه.

فعليك رحمة الله يا ابن عبسة.



(١) انظر ترجمته في «طبقات ابن سعد» (٣:٥٣٣).
(٢) ترجمته في «سير النبلاء» (٢:٢٣٥)، «التاريخ الكبير» (٧:٧٦)، «طبقات القراء» (١:٦٠٦).

ابن العجماء المهاجري

مسعود بن الأسود العدوي[1]

من شهداء مؤتة مسعود بن الأسود بن حارثة العدوي، المهاجري، شهيد الدنيا والآخرة، أمه العجماء بنت عامر، وبها يعرف، فيقال: ابن العجماء.

كان من السبعين الذين هاجروا من بني عدي، هو وأخوه مطيع بن الأسود، وهو من أصحاب بيعة الرضوان تحت الشجرة، تلك البيعة التي كانت في الحديبية، إبان المفاوضات بين النبي ﷺ وقريش لدخول مكة معتمراً فأبت قريش، وبلغ رسول الله ﷺ أنهم قتلوا رسوله إليهم ذا النورين عثمان بن عفان، فقال ﷺ: لا نبرح حتىٰ نناجز القوم، فدعا الناس إلىٰ البيعة، وكان عددهم أربع عشرة مائة، وكانوا يعدونها فتحاً، فعن البراء رضي الله عنه قال: «تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدُّ الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة[2] وفي رواية أخرىٰ كانوا خمس عشرة مائة[3].

لقد كان مسعود رضي الله عنه فيهم لما قال لهم رسول الله ﷺ: «أنتم خير أهل الأرض»[4]، وفيهم نزل قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

كان ابن الأسود رضي الله عنه رقيقاً رحيماً، يدل علىٰ ذلك ما روته عائشة ابنته عنه أنه قال: لما سرقت المرأة تلك القطيفة من بيت رسول الله ﷺ أعظمنا ذلك، وكانت امرأة من قريش فجئنا إلىٰ النبي ﷺ نكلمه، وقلنا نحن نفديها بأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ: تطهر خير لها[5].

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٣٩٠)، «أسد الغابة» (٤: ٣٥٥)، «الإصابة» (٣: ٤٠٩).

(٢) رواه البخاري في المغازي برقم (٤١٥٠).

(٣) رواه البخاري في المغازي برقم (٤١٥٣).

(٤) رواه البخاري في المغازي (٤١٥٤).

(٥) رواه ابن ماجة برقم (٢٥٤٨).

أما سبب دخوله أرض الأردن فغزوة مؤتة، التي كان رسول الله ﷺ يخبر الناس عن أخبارها وأحداثها وهو علىٰ منبره بالمدينة المنورة، وما زالت دماؤه الزكية تطهر أرض مؤتة، وتضفي علىٰ أجوائها عبق عطر الصحابة الكرام، الذين بهم عصم الله سبحانه وتعالىٰ العباد، ونشر الهدىٰ والرشاد، وصدق في شهداء مؤتة قول كعب بن مالك رضي الله عنه:

قوم بهم عصم الإله عباده وعليهم نزل الكتاب المنزل

رضي الله عنك يا شهيدنا العدوي، لقد بايعت رسول الله ﷺ لتكون شهيداً في مكة الأرض المباركة بالكعبة، فاختارك الله سبحانه وتعالىٰ شهيداً علىٰ أرض مؤتة المباركة بالأقصىٰ وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

❏ ❏ ❏

الأخوان الشهيدان

وهب بن سعد المهاجري[1]

وسويد بن عمرو الأنصاري[2]

الأخوان وهب بن سعد المهاجري، وسويد بن عمرو الأنصاري شهيدان علىٰ أرض مؤتة، آخىٰ بينهما رسول الله ﷺ بعد الهجرة الشريفة إذ أمر المهاجرين والأنصار فقال: تآخوا في الله أخوين أخوين[3] فتآخىٰ وهب وسويد[4] رضي الله تعالىٰ عنهما، كما تآخىٰ باقي المهاجرين والأنصار، وتآلفوا تلك الألفة التي عز نظيرها، ولا مثيل لها، يدل علىٰ ذلك ويقرره قوله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

إنهما أخوان، أما أول الأخوين فوهب بن سعد ابن أبي سرح، نزل مع رسول الله ﷺ بعد الهجرة علىٰ كلثوم بن الهدم، ومعه جماعة من البدريين، وأمه من الأشعريين الذين قدموا في السفينة من اليمن إلىٰ الحبشة وإلىٰ المدينة المنورة، واسمها مهانة بنت جابر[5]، شهد بدراً، وأحداً، والخندق، والحديبية، وخيبر، ومؤتة حيث كانت الشهادة.

وأما ثاني الأخوين فهو سويد بن عمرو الأنصاري، الصحابي، الجليل الذي

---

(١) وهب بن سعد: ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٣:٤٠٧)، «الاستيعاب» (٤:١٥٦٠)، «أسد الغابة» (٥:٩٥)، «الإصابة» (٣:٦٤٢).

(٢) سويد بن عمرو: ترجمته في: «أسد الغاية» (٢:٣٧٩)، «الإصابة» (٢:٩٩).

(٣) «البداية والنهاية» (٣:٢٢٦).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ لابن سعد» (٣:٤٠٧).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٣:٤٠٧).

رویٰ عن رسول الله ﷺ قوله: «بلوا أرحامكم ولو بالسلام»[١] أي ندوها بصلتها[٢].

لقد دامت هذه المؤخاة المباركة من يومها لتشهد المشاهد كلها، وتؤدي حقها، إنهما قلبان مترابطان، ورجلان في رجل، متآزران متلاحمان حتىٰ اختارهما الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ أرض الأردن شهيدين مكرمين، وبطلين فائزين.

إن المتأمل ليتساءل: أي أخوة في الوجود تثمر كما أثمرت شجرة المؤاخاة التي غرسها النبي ﷺ بيديه الشريفتين في قلوب أصحابه، فيتقاسم الأخوان المال والمنزل والأرض والنعم، ولعلها في بعض الآونة تشركهما في الشهادة، كما في هذه الصورة المشرقة من صور الصحابة الكرام.



---

(١) «كنز العمال» حديث (٦٩١٤).

(٢) قال ابن الأثير: وهم يطلقون النداوة علىٰ الصلة، كما يطلقون اليبس علىٰ القطيعة، لأنهم لما رأوا بعض الأشياء يتصل ويختلط بالنداوة، ويحصل بينهما التجافي والتفرق باليبس استعاروا البلل لمعنىٰ الوصل، واليبس لمعنىٰ القطيعة. انظر: «النهاية في غريب الحديث» (١: ١٥٣).

الشقيقان المازنيان

جابر ابن أبي صعصعة[1]

وأبو كلاب ابن أبي صعصعة[2]

ومن شهداء مؤتة الأخوان الشقيقان المازنيان جابر ابن أبي صعصعة الأنصاري وشقيقه أبو كلاب، أبوهما عمرو بن زيد بن عوف المازني، وأمهما شيبة بنت عاصم المازنية، وأخوانهما صحابة أجلاء:

أولهما: البدري قيس ابن أبي صعصعة[3] الذي وضعه رسول الله ﷺ علىٰ الساقة يوم بدر[4]، أي علىٰ المشاة[5] فهو من أمراء الحرب وقادته، وزوجته بنت المجاهد الشهيد معاذ بن عمرو بن الجموح، الذي ضرب يوم بدر علىٰ عاتقه، وبقيت معلقة بجلدة بجنبه، وأجهضه عنها القتال، فقاتل عامة يومه وهو يسحبها خلفه، فلما آذته وضع قدمه عليها ثم تمطا عليها حتىٰ طرحها[6].

وثانيهما: الحارث ابن أبي صعصعة[7] الذي قتل يوم اليمامة شهيداً.

فتأمل أفراد هذه العائلة الكريمة بل تأمل نجومها أبناء أبي صعصعة، إن اسمه يتحرك بذاته، وأولاده يعشقون الشهادة، فيشاركون رسول الله ﷺ في أكثر الغزوات، ولا يتقاعسون ولا يتخاذلون، وبصحبتهم لرسول الله ﷺ يفتخرون.

---

(١) ترجمته جابر في: «الاستيعاب» (١: ٢٢٣)، «أسد الغابة» (١: ٢٥٥)، «الإصابة» (١: ٢١٥).

(٢) ترجمته أبي كلاب في: «الاستيعاب» (٤: ١٧٣٩)، «أسد الغابة» (٥: ٢٨٣).

(٣) ترجمة في طبقات ابن سعد (٣: ٥١٧).

(٤) «البداية والنهاية» (٣: ٣٢٣).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٣: ٥١٧).

(٦) انظر: «القصة في سير النبلاء» (١: ٢٥٠).

(٧) ترجمة الحارث في الاستيعاب (١: ٢٩٦).

أراد الله سبحانه وتعالىٰ لأرض الأردن أن تتبارك بأجساد ودماء شهيدين منهما:

الأول: جابر ابن أبي صعصعة ـ الصحابي الجليل ـ الذي شهد غزوة أحد، ولا شك أنه تأثر بما لقيه المسلمون آنذاك، وفاته أن يكون شهيداً في ذلك اليوم، فأصر عليها، وكلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلىٰ النفير طار دون تقصير ولا تقتير، فعوضه الله سبحانه وتعالىٰ بمؤتة عما فاته بأحد، واختاره شهيداً مع أحباب النبي ﷺ، وبجانب المسجد الأقصىٰ الذي بارك الله فيه، وحوله، وبأرض الشام أرض الحشد والرباط إلىٰ يوم القيامة.

والثاني: أبو كلاب ابن أبي صعصعة الأنصاري المدني، الذي كان أخفىٰ سيرة من أخيه الشهيد الأول، ولعل انشغالهما بالجهاد في سبيل الله تعالىٰ كان من أهم أسباب خفاء سيرتهما عن أهل الدنيا وأما في الآخرة فللشهيد عند الله سبحانه وتعالىٰ مكانة لا تجارىٰ مع النبيين والصديقين وحسن أولئك رفيقاً.

رضي الله عنكما يا أبناء أبي صعصعة، وعليكم رحمة الله وبركاته.



الأنصاريان النجاريان

سراقة بن عمرو الخزرجي[1]

والحارث بن النعمان الخزرجي[2]

من شهداء مؤتة صاحبا الفضل والشجاعة والإقدام، الأنصاريان الخزرجيان النجاريان، سراقة بن عمرو، والحارث بن النعمان، اللذان اتسما بفضائل جمة، من أشهرها:

أولاً: أنهما أنصاريان، من شعب النبي ﷺ، إذ قال: «لو سلكت الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم»، رواه البخاري[3]، أولئك الأبرار الذين جعل الله حبهم من الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»[4].

ثانياً: أنهما بدريان[5]، فهما من الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالإيمان، فعن البراء رضي الله عنه قال: «كنا أصحاب محمد نتحدث أن عدة أصحاب بدر علىٰ عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر، ولم يجاوز معه إلا مؤمن، بضعة عشر وثلاثمائة»[6].

ثالثاً: أنهما شهدا مع رسول الله ﷺ المشاهد كلها، فغُفر لهما يوم بدر، وسلمهما الله يوم أُحد، وحماهما يوم الخندق، ورضي الله ورسوله عنهما يوم

---

(١) ترجمته سراقة في: «الاستيعاب» (٢: ٥٨٠)، «طبقات ابن سعد» (٣: ٥١٩)، «أسد الغابة» (٢: ٢٦٤)، «الإصابة» (٢: ١٨).

(٢) ترجمة الحارث في «أسد الغابة» (١: ٣٤٩)، «الإصابة» (١: ٢٩٢).

(٣) مناقب الأنصار حديث (٣٧٧٨).

(٤) رواه البخاري باب حب الأنصار من الإيمان حديث رقم (٣٧٨٤).

(٥) ذكر ابن حجر في الإصابة أن الحارث لم يشهد بدراً، وقال غيره: شهدها. انظر «الإصابة» (١: ٢٩٢).

(٦) رواه البخاري رقم (٣٩٥٨).

بايعا تحت الشجرة بيعة الرضوان، وما تخلفا يوماً مع القاعدين، وإنما كانا من السابقين المقربين.

أولهما: سراقة بن عمرو بن عطية، استشهد وليس له عقب، مما يدل علىٰ أنه عازف عن الدنيا، ليس له ما ينشغل به عن الجهاد، ولذا لم يتخلف عن سرية ولا غزوة في حياته، قال أبو حاتم: هو من أهل بدر، وقال ابن سعد: أمه عسيلة بنت قيس.

وثانيهما: الحارث بن النعمان، ذكره ابن إسحاق فيمن استشهد يوم مؤتة، وقال العدوي: شهد بدراً واحداً وما بعدهما.

أما سبب دخولهما أرض الأردن فلم يكن لأمر دنيوي ولا لمكسب مادي، وإنما كان للجهاد، وحب الاستشهاد، فاختارهما الله سبحانه وتعالىٰ في مؤتة، رغم أنهما بايعا رسول الله ﷺ علىٰ الموت في الحديبية بيعة الرضوان، فكم سافرا في سبيل الله وكم قاتلا؟! ويشاء الله تعالىٰ أن تتشرف أرض مؤتة بدمائهما.

هكذا كان أصحاب رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، يحملون أرواحهم علىٰ أكفهم، يحبون الشهادة ويحرصون عليها كما يحرص عدوهم علىٰ الخلود، ولعل كثرة أسفارهم وانشغالهم بالجهاد حجب عنا الكثير من سيرتهم، لقد جسدوا إيمانهم بالأفعال، وعزفوا عن القول بلا فعل مخافة الاشتهار، فأولياء الله مستورون، وبكراماتهم محتفظون.

إن الأجساد التي اقترنت بأجساد جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة رضي الله عنهم، والدماء التي اختلطت بدمائهم لا ريب متعطرة مكرمة، تسرح أرواحهم في الجنة وتطير بطيران ذي الجناحين ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

اللهم ارحمهما، وأدخلهما جناتك جنات النعيم آمين.



ختام شهداء مؤتة

عامر بن سعد[1]

وعمرو بن سعد[2]

وهبار بن سفيان المخزومي[3]

الشقيقان عامر بن سعد، وعمرو بن سعد[4] بالإضافة إلىٰ هبار بن سفيان هم ختام شهداء مؤتة، من صحابة النبي ﷺ، الذين يمثلون علىٰ أرضها نجوماً مشرقة، ووروداً مزهرة، وجبالاً شامخة، ونماذج فذة ومعالم بارزة، فبهم تعتز أرضها وتفتخر، وتحتضنُهم احتضان الأم الرؤوم.

لكن الذي يدعو للعجب والدهش أن تتقابل فئتان متعاديتان في الدين، أحدهما تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، والأخرىٰ كافرة، وعدتها مائتا ألف، من الروم مائة ألف، ومن العرب النصارىٰ مائة ألف، يقاتلون علىٰ أرضهم التي يعرفونها، والمؤمنون قد قطعوا المسافات الشاسعة ولا يُقتل منهم إلا هذا العدد ثلاثة عشر علىٰ قلة مؤنتهم، ويقاتلون علىٰ أرض لا يعرفون تضاريسها، ولا أوديتها، ولا جبالها، ولا تربوا في أحضانها، ويقابل المؤمن ثلاثين من الروم، ويقتلون من الكفار خلقاً كثيرين، بل يقول خالد بن الوليد رضي الله عنه: لقد اندقت في يدي يومئذ تسعة أسياف، فعن قيس ابن أبي حازم قال: سمعت خالد ابن الوليد يقول: لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف فما بقي في يدي إلا

---

(١) ترجمته عامر رضي الله عنه في: «أسد الغابة» (٣: ٨١)، «تهذيب تاريخ دمشق» (٧: ١٤٠).

(٢) «الإصابة» (٢: ٢٤٩).

(٣) وهو من مهاجرة الحبشة وقيل: مات في أجنادين. انظر: «الاستيعاب» (٤: ١٥٣٦)، «أسد الغابة» (٥: ٥٤)، «الإصابة» (٣: ٥٩٩)، «العقد الثمين» (٧: ٣٦٥)، وانظر فتوح البلدان للبلاذري ١٢١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٤: ٢١).

صفيحة يمانية، رواه البخاري[1]، فماذا ترىٰ قد قتل خالد رضي الله عنه بهذه الأسياف؟

وإذا انضاف إلىٰ ذلك ما فعله الأبطال الشجعان من حملة القرآن فلا شك أن جراحات أهل الكفر كانت بالغة، وصدق الله العظيم: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

ومن هنا أنكر رسول الله ﷺ علىٰ من وصف جيش مؤتة بالفرار، إذ لما رجعوا إلىٰ المدينة المنورة سالمين، وقد حماهم الله سبحانه وتعالىٰ من قتل محقق لولا الكرامة والتأييد الإلهي قابلهم الصبيان باستهجان، وهم يحثون عليهم التراب، ويقولون: يا فرار... فررتم في سبيل الله فقال رسول الله ﷺ: «ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل»[2].

إن صبيان المسلمين أشبال لا يعرفون الهزيمة، وما تعوّدوا سماع كلمة الفرار من الزحف، ولذلك أنكروا، وأما القائد رسول الله ﷺ فقد اعتبره نصراً مؤزراً، واعتبر فعلهم إقداماً لا هزيمة، لأنه كان يشاهد خيل الله، وجنود الله، تقابل عدواً شرساً، فاق عدده عدد المسلمين، وعدته عدتهم، وقد جلس علىٰ المنبر يصف الحال وعيناه تذرفان، ويراقب مقتل ابن عمه وحبه، ومن معه، ثم يقول ﷺ: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله حتىٰ فتح الله عليهم»[3]. فكان به سرور رسول الله ﷺ، وزاده سروراً أنه رآهم في الجنة حيث قال: كان الذي رأيتم مني أنه أحزنني قتل أصحابي، حتىٰ رأيتهم في الجنة إخواناً علىٰ سرر متقابلين[4].



---

(١) صحيح البخاري حديث (٤٢٦٥).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٤:٢٤٨).

(٣) رواه البخاري حديث رقم (٤٢٦٢).

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٢: ١٣٠).

بين مؤتة واليرموك

شهيد عفرا فروة بن عمرو الجذامي[1]

فروة بن عمرو، الجذامي، النفاثي، الرومي، الأمير، الشهيد، رضي الله عنه.

أما جذام فبطن متسع له شعوب كثيرة، وديارهم من أطراف الشام إلىٰ أطراف المدينة، كانت لهم رئاسة في معان وما حولها من أرض الشام، ثم آلت لفروة بن عمرو، فأصبح عاملاً للروم علىٰ قومه، وعلىٰ من كان حوالي معان من العرب.

ولما ظهر الإسلام بمكة والمدينة، وحدثت وقعة تبوك هداه الله للإسلام، إذ سطع في قلبه نور الإيمان، وإشعاع الحق، فرفض الدنيا وقد تشوفت إليه وتزينت لديه، ولبىٰ النداء وآثر آخرته علىٰ الدنيا رغم كثرة المغريات، فيا له من زاهد بمنصبه، وماله، وحاشيته، وخيله، وقوته، ومنعته.

لقد كتب إلىٰ رسول الله ﷺ بإسلامه، وأهدىٰ له بغلة بيضاء، ولم ينقل أنه اجتمع بالنبي ﷺ، لكنه أحبه حتىٰ كان أقرب إلىٰ قلبه ممن حوله من أهله وعشيرته.

ولما بلغ الروم ذلك من إسلامه طلبوه، فحبسوه عندهم، فقال في محبسه ذلك أبياتاً[2] منها:

ولقد جمعت أجلَّ ما جمع الفتىٰ ... من جودة وشجاعة وبياني

صدق فروة، فإن من جوده وشجاعته أن يحفظ دينه، ويدافع عنه، وأن البطولة أن لا ينكر الحق الذي سطع في قلبه وأشرق في جوانحه، ونور الشمس لا يغطىٰ بغربال، والحق أبلج، ولو كره الكافرون.

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١٢٥٩)، «الإصابة» (٣: ٢١٣)، «الإعلام» (٥: ١٤٣).

(٢) انظر: «تاريخ ابن خلدون» (٢: ٢٥٦)، «البداية والنهاية» (٥: ٨٦).

وأصر فروة الجذامي علىٰ دينه رغم محبسه المظلم بعد رفاهية ونعومة عيش عمال الروم ورؤسائهم، ورغم التعذيب بعد التكريم، والرفض بعد القبول، مما أثار قيصر الروم، فأغرىٰ به الحارث ابن أبي شمر الغساني وهو الحارث السادس أو السابع[1]، فأجمعوا علىٰ صلبه علىٰ ماء يقال له عفرا، فقال:

ألا هــل أتــىٰ سلمــىٰ بــأن حليلهــا ... علىٰ ماء عفرا فوق إحدىٰ الرواحل
علىٰ نـاقـة لـم يضـرب الفحـل أمهـا ... يشــد بــه أطـرافهـا بـالمنـاجـل

وقدم ليضرب فقال:

بلــغ ســراة المسلميــن بــأننــي ... سلــم لــربــي أعظمــي ومقــامــي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه علىٰ ذلك الماء رحمه الله تعالىٰ رحمة واسعة، ورضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه.

هكذا يعيش الأبطال، وهكذا يموتون، فتتخلد أسماؤهم، ويتعطر الخلق بسيرة سلفهم، وبها يفتخرون.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الإعلام» (٥ : ١٤٣).

ملوك

الداثن وأجنادين واليرموك

استهلت السنة الثالثة عشرة وأبو بكر الصديق رضي الله عنه عازم علىٰ جمع الجنود ليبعثهم إلىٰ الشام، وذلك بعد مرجعه من الحج، عملاً بقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ [التوبة: ١٢٣]، واقتداء برسول الله ﷺ الذي بعث قبل موته أسامة بن زيد ليغزو تخوم الشام، فجمع الصديق الجيوش ثم حثهم علىٰ الجهاد فقال: ألا لكل أمر جوامع فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله، عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ، ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا إيمان لمن لا خشية له، ولا عمل لمن لا نية له، ألا وإن في كتاب الله من الثواب علىٰ الجهاد في سبيل الله لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به، هي النجاة التي دل الله عليها، إذ نجىٰ بها من الخزي، وألحق بها الكرامة[١].

وشرع الصديق في تولية الأمراء، وعقد الألوية والرايات، فأرسل عمرو بن العاص وسمىٰ له طريقاً إلىٰ فلسطين، وأرسل يزيد ابن أبي سفيان علىٰ جيش عظيم فيهم سهيل بن عمرو إلىٰ دمشق، وأوصاه أحسن الوصايا، وكان مما أوصاه: إذا قدمت علىٰ جندك فأحسن صحبتهم، وابدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، وأقلل لبثهم حتىٰ يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم فيروا خللك، ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم، ولا تجعل سرك لعلانيتك، فيخلط أمرك، وإذا استشرت فأصدق الحديث، تصدق المشورة،

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٣:٧).

ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتىٰ من قبل نفسك، وأسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك، ويددهم في عسكرك، وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه، وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولىٰ أطول من الأخيرة، فإنها أيسرهما لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق، ولا تلجن فيها، ولا تسرع إليها، ولا تخذلها مدفعاً، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم، واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن الناس، واجتنب الغلول فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له[1].

وأرسل الصديق أبا عبيدة بن الجراح إلىٰ حمص، وسار أبو عبيدة علىٰ باب من البلقاء فقاتله أهله، ثم صالحوه، فكان أول صلح في الشام.

وأرسل الصديق شرحبيل بن حسنة إلىٰ الأردن، وكان قد قدم من عند خالد ابن الوليد إلىٰ أبي بكر وافداً فأمره أبو بكر بالشام، وندب معه الناس.

واجتمع إلىٰ أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما وأمره باللحاق بأخيه يزيد وأمر الصديق كل أمير أن يسلك طريقاً غير طريق الآخر، لما لاحظ في ذلك من المصالح، واقتداء بنبي الله يعقوب عليه السلام حين وصىٰ بنيه: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧].

ولما وصل الأمراء إلىٰ الشام ومع كل أمير سبعة آلاف، وتتابع الإمداد حتىٰ تم جمعهم فبلغ أربعة وعشرين ألفا[2] نزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء،

---

(١) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٧٧).

(٢) «فتوح البلدان للبلاذري» (١١٦).

ونزل شرحبيل الأردن، ونزل عمرو بن العاص العربة، واجتمع فيها الروم، فوجه إليهم يزيد ابن أبي سفيان أبا أمامة الباهلي، ففض ذلك الجمع، فقتل بطريقاً من بطارقتهم، وغنم منهم، وكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد، ثم أتوا الداثن قرب غزة[1] فهزمهم أبو أمامة أيضاً[2].

وهنا يذكر بعض المؤرخين[3] أن معركة أجنادين[4] كانت قبل اليرموك، إذ تجمع بعض الروم فيها، وأميرهم آنذاك القيقلان أو القيقلار، فتجمع المسلمون استعداداً، فبعث أمير الروم رجلاً من نصارىٰ العرب يجس له أمر الصحابة، فدخل في الناس، لا ينكره أحد، لأنه عربي، فأقام فيهم يوماً وليلة، فقال له: ما وراءك؟ فقال: وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، ولو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوا يده، ولو زنىٰ رجم لإقامة الحق فيهم، فقال القيقلار: والله لئن كنت صادقاً لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء علىٰ ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم، فلا ينصرني عليهم، ولا ينصرهم علي[5].

ذكر الطبري أجنادين عقب اليرموك، فقال: واجتمعت الروم بأجنادين في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطبون، وكان الأرطبون أدهىٰ الروم وأبعدها غوراً، وأنكاها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً، وكتب عمرو بن العاص إلىٰ عمر بالخبر فلما جاءه كتاب عمرو قال: قد رمينا أرطبون الروم العرب فانظروا عم تنفرج[6].

---

(١) «معجم البلدان» (٢ : ٤١٧).

(٢) انظر: «تاريخ الأمم والملوك» (٤ : ٣٩)، «البداية والنهاية» (٤ : ٧)، «الكامل في التاريخ» (٢ : ٢٧٧).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٧ : ٧)، «الكامل في التاريخ» (٢ : ٢٨٦).

(٤) بالفتح ثم السكون وتفتح الدال فتكسر معها النون، فيصير بلفظ التثنية، وتكسر الدال، وتفتح النون بلفظ الجمع، وأكثر أصحاب الحديث يقولون: إنه بلفظ التثنية، ومن المحصلين من يقوله بلفظ الجمع، انظر: «معجم البلدان» (١ : ١٠٣).

(٥) «الكامل في التاريخ» (٢ : ٢٨٦).

(٦) «تاريخ الأمم والملوك» (٤ : ١٥٧).

واقتتلوا قتالاً شديداً، حتىٰ كثر القتلىٰ فيهم ثم إن أرطبون الروم انهزم في الناس، فقتل المسلمون منهم مقتلة عظيمة[١].

وسارت جيوش المسلمين إلىٰ اليرموك ونزل جيش المسلمين جانب النهر، كي يتمكن المدد من المدينة المنورة الوصول إليهم، ولعل هذا هو السبب الأول الذي دعانا لاعتبار أرض اليرموك المشهورة في الأردن الآن هي أرض المعركة، إذ بقاؤهم جانب النهر جهة الجنوب يسهل وصول الإمدادات إليهم من المدينة المنورة.

والسبب الثاني: أن سير جيوش اليرموك من البلقاء والداثن وأجنادين كان من الجنوب إلىٰ الشمال ولم يثبت توغل جيوش المسلمين عبر نهر اليرموك مما يعني بقاؤهم في الأرض المشهورة.

والسبب الثالث: قول ابن الأثير في الكامل[٢]: «فلما وصل الأمراء إلىٰ الشام نزل أبو عبيدة الجابية، ونزل يزيد البلقاء، ونزل شرحبيل الأردن وقيل: بصرىٰ، ونزل عمرو بن العاص العربة... ثم أمروا بالمسير فاجتمعوا باليرموك متساندين». واليرموك من أرض الأردن حسب وصف ياقوت الحموي[٣].

وتكامل جيش الروم أربعون ومائتا ألف، منهم ثمانون ألفاً مسلسلون بالحديد والحبال، وثمانون ألف فارس، وثمانون ألف راجل، وظل القسيسون والرهبان يحرضون الروم شهراً ثم خرجوا إلىٰ القتال الذي لم يكن بعده قتال، وفي تعبئة لم ير مثلها قط.

ويذكر أن هرقل لما بلغه حال المسلمين، وكان بالقدس آنذاك، قال لمن عنده: أرىٰ أن تصالحوا المسلمين، فإنهم أهل دين جديد، وأنهم لا قبل لأحد بهم، فأطيعوني وصالحوهم بما تصالحونهم علىٰ نصف خراج الشام، ويبقىٰ لكم

---

(١) «خطط الشام» (١: ٧٩).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٧٨).

(٣) «معجم البلدان» (٤: ٤٣).

جبال الروم، فنخروا في ذلك نخرة حمر الوحش، كما هي عادتهم في قلة المعرفة والرأي بالحرب والنصرة في الدين والدنيا، كذا قال ابن كثير[1].

ثم أمر هرقل الجيوش الرومية فجعل في مقابلة كل أمير من المسلمين جيشاً كثيفاً، وقال: والله لنشغلن أبا بكر عن أن يورد الخيول إلىٰ أرضنا، فكتب الأمراء المسلمون إلىٰ أبي بكر وعمر يعلمونهما بما وقع من الأمر العظيم، فكتب إليهم: أن اجتمعوا وكونوا جنداً واحداً، فأنتم أنصار الله، والله ناصر من نصره، وخاذل من كفره وإن مثلكم لا يؤتىٰ من قلة ولكن من تلقاء الذنوب، فاحترسوا منها، واجتمعوا باليرموك متساندين، وليصل كل رجل منكم بأصحابه. وقال الصديق: والله لأشغلن النصارىٰ عن وساوس الشيطان بخالد بن الوليد[2]، وبعث إليه وهو بالعراق ليقدم إلىٰ الشام فيكون الأمير علىٰ من به.

ولما بلغ هرقل ما أمر به الصديق أمراءه من الاجتماع، بعث إلىٰ أمرائه أن يجتمعوا أيضاً وأن ينزلوا بالجيش، فنزلوا وادياً أرادوا أن يتأنس الروم بالمسلمين لترجع إليهم قلوبهم، ونزل المسلمون بقيادة أبي عبيدة علىٰ طريقهم، ليس للروم طريق إلا عليهم، فقال عمرو: أبشروا حصرت الروم، وقل ما جاء محصور بخير، وأقاموا شهرين لا يخرج الروم خرجة إلا أديل عليهم المسلمون.

وسار خالد بن الوليد مسرعاً في تسعة آلاف وخمسمائة، يجتاب البراري والقفار، ويقطع الأودية، في مفاوز معطشة حتىٰ وصل بصرىٰ الشام، ففتحها وكانت أول مدينة فتحت بالشام علىٰ يد خالد، ثم تبع عكرمة بمن معه حتىٰ تكامل جيش المسلمين باليرموك قريباً من أربعين ألفاً[3] معهم ألف صحابي ومائة بدري، ولما وصل خالد بن الوليد رضي الله عنه، وجمع الناس، ورضيه القادة قائداً لهم، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: إن هذا يوم من أيام

---

(١) «البداية والنهاية» ص٥-٧.

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٤: ٤٦).

(٣) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٨١).

الله، لا ينبغي فيه الفخر، ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأرضوا الله بعملكم، فإن هذا يوم له ما بعده.

وخرج خالد في تعبئة لم تعرفها العرب قبل ذلك، إذ خرج في ستة وثلاثين كردوسا، في كل كردوس ألف مقاتل عليهم أمير، فقال رجل لخالد: ما أكثر الروم وأقل المسلمين، فقال خالد: ما أكثر المسلمين وأقل الروم، إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان.

ولما تراءىٰ الجمعان، وتبارز الفريقان، وعظ أبو عبيدة المسلمين فقال: عباد الله انصروا الله ينصركم، ويثبت أقدامكم، يا معشر المسلمين اصبروا، فإن الصبر منجاة من الكفر، ومرضاة للرب، ومدحضة للعار، ولا تبرحوا مصافكم، ولا تخطوا إليهم خطوة ولا تبدأوهم بالقتال... والزموا الصمت إلا من ذكر الله في أنفسكم. ثم وعظ الناس معاذ بن جبل، وعمرو بن العاص وأبو سفيان، وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين.

وخرج جرجة ـ أحد كبار الأمراء من الروم ـ من الصف واستدعىٰ خالد بن الوليد، فجاء إليه حتىٰ اختلفت أعناق فرسيهما، فقال جرجة: يا خالد، أخبرني فاصدقني ولا تكذبني، فإن الحر لا يكذب، ولا تخادعني فإن الكريم لا يخادع المسترسل، بالله هل أنزل الله علىٰ نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكه فلا تسله علىٰ أحد إلا هزمتهم؟ قال: لا قال: فبم سميت سيف الله؟ قال: إن الله بعث فينا نبيه فدعانا فنفرنا منه ونأينا عنه جميعاً، ثم إن بعضنا صدقه وتابعه، وبعضنا كذّبه وباعده، فكنت فيمن كذّبه وباعده، ثم إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا فهدانا به وبايعناه، فقال النبي ﷺ لي: أنت سيف من سيوف الله سله علىٰ المشركين، ودعا لي بالنصر، فسميت سيف الله بذلك، فأنا من أشد المسلمين علىٰ المشركين[1]، وما زال به حتىٰ أسلم ومال إلىٰ خالد يقاتل الروم في صفه.

---

(١) «البداية والنهاية» (٧: ١٣).

واشتد القتال بالتحام الصفوف، ونادىٰ عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه قائلاً: من يبايع علىٰ الموت؟ فبايعه عمه الحارث بن هشام، وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم[1].

وتضعضع الروم، وانهزم فرسانهم، وتركوا الراجلة، ولما رأىٰ المسلمون خيل الروم قد توجهت للمهرب أفرجوا لها، فتفرقت، وقتل الراجلة، واقتحموا في خندقهم، وقد هوىٰ فيه المقترنون وغيرهم، ولا ترىٰ إلا مخاً ساقطاً، ومعصماً طائراً، وكان خالد رضي الله عنه قد ألجأهم إليه، فتساقطوا إليه وهم لا يبصرون، واجتمع عليهم ظلام الليل والضباب، فقتل فيه ثمانون ألفاً من المقيدين وأربعون من غيرهم، ويسمىٰ ذلك المكان الواقوصة[2].

وتبعهم خالد رضي الله عنه حتىٰ وصل دمشق ثم إلىٰ حمص وصالح من فيهن، ونصر الله المسلمين نصراً مؤزراً، ولم يقتل منهم في هذه المعركة إلا ثلاثة آلاف، فعليهم رحمة الله، وأما الروم ففر من لم يقتل منهم، ولما قدم منهزمتهم قال هرقل: ويلكم أخبروني عن هؤلاء القوم الذي يقاتلونكم أليسوا بشراً مثلكم؟ قالوا بلىٰ، قال: فأنتم أكثر أم هم؟ قالوا: بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن. قال: فما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظمائهم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار، ويوفون بالعهد، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويتناصفون بينهم، ومن أجل أنا نشرب الخمر، ونزني، ونركب الحرام، وننقض العهد، ونغضب، ونظلم، ونأمر بالسخط، وننهىٰ عما يرضي الله، ونفسد في الأرض، فقال: أنت صدقتني.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الكامل» (٢: ٢٨٣).

(٢) «معجم البلدان» (٣: ٣٥١)، «البداية والنهاية» (٧: ١٣).

تمثال الإيثار

مدح الله سبحانه وتعالىٰ الأنصار بالإيثار؛ فقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هكذا كان أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم، انصاعوا لأمر الله، وعزفت أنفسهم عن الدنيا، وتنافسوا أعمال الآخرة، دون تطلع إلىٰ شهوات الدنيا ولذائذها، فأنعم عليهم الله سبحانه وتعالىٰ بالتكريم والتبجيل والطهر في الدنيا والآخرة، وقدّموا أروع الأمثال في مجال الإيثار.

وفي معركة اليرموك سطّر ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ أعظم درس في الإيثار، عز في التاريخ نظيره، بل لا شبيه له ولا مثيل، إذ جُرح ثلاثة من الصحابة الكرام، وطلبوا الماء، فتداولوه، ولم يشربوه، يؤثر كل واحد منهم صاحبه وقد رآه متشوفاً إلىٰ الماء عطشاً، وقد بلغ به الجرح مبلغاً.

ذكر الواقدي وغيره أنهم لما صرعوا من الجراح استسقوا ماء فجيء إليهم بشربة ماء، فلما قربت إلىٰ أحدهم نظر إليه الآخر فعرف أنه يريدها، فقال لحاملها: ادفعوا إليه، فلما دفعت إليه نظر إليه الآخر فقال: ادفعها إليه، فتدافعوها كلهم من واحد إلىٰ واحد حتىٰ ماتوا جميعاً ولم يشربها أحد منهم، رضي الله عنهم أجمعين[١].

إنهم الحارث بن هشام، وعكرمة ابن أبي جهل، وعياش ابن أبي ربيعة[٢]، وقيل[٣]: سهيل بن عمرو بدل عياش رضي الله تعالىٰ عنهم أجمعين والله تعالىٰ أعلم.

---

(١) «البداية والنهاية» (٧: ١٢).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٢: ٣٢٩).

(٣) «الاستيعاب» (٣: ١٠٨٤)، «العقد الثمين» (٦: ١٢٢).

رویٰ حبيب ابن أبي ثابت[1] أن الحارث بن هشام وعكرمة ابن أبي جهل وعياش ابن أبي ربيعة جرحوا يوم اليرموك، فلما أثبتوا دعا الحارث بن هشام بماء ليشربه فنظر إليه عكرمة، فقال الحارث: ادفعه إلىٰ عكرمة، فلما أخذه عكرمة نظر إليه عياش، فقال: ادفعه إلىٰ عياش، فما وصل إلىٰ عياش حتىٰ مات ولا وصل إلىٰ واحد منهم حتىٰ ماتوا.

إنهم الأقارب الأحباب فالحارث بن هشام عم عكرمة ابن أبي جهل بن هشام، والحارث أخو عياش ابن أبي ربيعة لأمه، لكن أين ومتىٰ ذكر التاريخ مثالاً يقارب هذا النموذج الأمثل، إنه التطلع إلىٰ الجنة، وفيها الأنهار الجارية، والمياه العذبة غير الآسنة، والعسل المصفىٰ، وخمر لذة للشاربين، ومن كان وارداً عليها لا شك تعزف نفسه عن الدنيا وما فيها، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [محمد: ١٥].

ومن ثم آثرت البداية بهؤلاء الثلاثة الأبرار من بين شهداء اليرموك، وأتبعتهم سهيل بن عمرو للاختلاف فيه.

❑ ❑ ❑

(١) «أسد الغابة» (١: ٣٥٢).

الراكب المهاجر

عكرمة ابن أبي جهل[1]

أحد أفاضل شهداء اليرموك الشريف الرئيس الشهيد، أبو عثمان القرشي، المخزومي، المكي، عكرمة ابن أبي جهل رضي الله عنه.

كان عكرمة شديد العداوة لرسول الله ﷺ في الجاهلية، وقالوا فيه: من أشبه أباه فما ظلم، فاستحق آنذاك أن يهدر رسول الله ﷺ دمه أنّىٰ وُجد، ولما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة؛ عكرمة ابن أبي جهل، وعبد الله بن خطل، ومقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد ابن أبي سرح، فأما ابن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فقُتل، وأما مقيس فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابهم عاصف فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة: أخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة: إن لم ينجني في البحر إلا الإخلاص ما ينجني في البر غيره، اللهم لك علي عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً، حتىٰ أضع يدي في يده، فلأجدنه عفواً كريماً، فجاء فأسلم[2].

إن مجيء عكرمة أفرح النبي ﷺ، وأضحكه منه أن رأىٰ من كان في الجاهلية معانداً، كيف أقبل اليوم تائباً، ولعله ﷺ فرح لأمر آخر، إذ رأىٰ النبي ﷺ في منامه عذقاً[3] في الجنة مدللاً، فأعجبه، فقال: لمن هذا؟ فقيل له: لأبي جهل، فشق ذلك عليه، فقال: ما لأبي جهل والجنة، والله لا يدخلها أبداً، فلما رأىٰ عكرمة أتاه مسلماً تأول ذلك العذق عكرمة ابن أبي جهل[4].

---

(١) ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٧:٤٨)، «الاستيعاب» (٣:١٠٨٢)، «سير النبلاء» (١:٣٢٣) «تهذيب الأسماء واللغات» (١:٣٣٨)، «أسد الغابة» (٤:٤)، «الإصابة» (٢:٤٩٦).

(٢) «أسد الغابة» (٤:٤).

(٣) عنقود من العنب. «القاموس المحيط» مادة (عَذَق).

(٤) «العقد الثمين» للحسيني (٦:١٢٠).

لقد فر رضي الله عنه يوم الفتح فلحق باليمن، فجاءت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام فاستأمنت له رسول الله ﷺ فأمنها، فلحقت به وجاءت به، فرآه رسول الله ﷺ فقال: مرحباً بالراكب المهاجر، فأسلم سنة ثمان من الهجرة الشريفة، وحسن إسلامه، وقال ﷺ لأصحابه: إن عكرمة يأتيكم فإذا رأيتموه فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي، اللهم صلِّ علىٰ سيدنا محمد، صاحب الفضل، ما أحسن خلقه وأعظمه وأشرفه!

لقد كان هذا الخلق النبوي النبيل دفعة عظيمة، شدت أزر عكرمة، وأثارت حماسته، فاجتهد متمسكاً بدينه، محافظاً علىٰ عقيدته الجديدة فسأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، علمني خير شيء تعلمه حتىٰ أقوله، فقال له النبي ﷺ: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فقال عكرمة: أنا أشهد بهذا، وأشهد بذلك من حضرني، أسألك يا رسول الله أن تستغفر لي، فاستغفر له رسول الله ﷺ، فقال عكرمة: والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلا أنفقت ضعفها في سبيل الله، ولا قتالاً إلا قاتلت ضعفه، وأشهدك يا رسول الله.

لقد أضفت عليه الحياة الجديدة سلوكاً جديداً، ومفخرة مجيدة، وحمداً مستمراً أبداً علىٰ نعمة الهداية، ومن ثم كان إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجّاني يوم بدر، وذلك لما يرىٰ من عظمة نجاته وفرحه بها وسروره، ولعله كان يفارق بين مصرع والده ونجاته هو وبين جحود والده وهدايته، فلا يرىٰ نعمة في الوجود أعظم من توفيق الله تعالىٰ له.

قال الإمام الشافعي: كان عكرمة محمود البلاء في الإسلام رضي الله عنه، صدق الإمام الشافعي فإنّ أثر عكرمة رضي الله عنه لا يُنكر ولا يخفىٰ، فقد استعمله أبو بكر الصديق رضي الله عنه علىٰ جيش وسيره إلىٰ أهل عُمان وكانوا ارتدّوا، فظهر عليهم، ثم وجهه إلىٰ اليمن، ولا يزال علىٰ عهده ووعده لرسول الله ﷺ إذ لما قال: «والله لا أدع قتالاً قاتلته في صدٍّ عن سبيل الله إلا قاتلت ضعفه في سبيل الله» لزم الجهاد فلم يسمع منادي الجهاد إلا لبّىٰ النداء وكبّر، ثم لزم الشام،

ولمّا كان يوم اليرموك قال متعجباً: قاتلت مع رسول الله ﷺ وأفر منكم اليوم، ثم نادىٰ المبايعة، فبايعه ما ينوف عن أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم، وتقدم خالد بن الوليد رضي الله عنه قائد الجيش المحمدي إلىٰ عكرمة والقعقاع بن عمرو رضي الله عنهما ـ وهما علىٰ مجنبتي القلب ـ وأمرهما أن ينشئا القتال؛ فبدءا يرتجزان، ودعوا إلىٰ البراز، وتنازل الأبطال، وتجاولوا، وحميت الحرب، وقامت علىٰ ساق[1]، ونزل عكرمة فترجّل، فقاتل قتالاً شديداً، ومعه ولده الشاب عمرو بن عكرمة، فقُتلا جميعاً، ووجد في عكرمة بضع وسبعون من بين طعنة وضربة ورمية، وهو آنذاك ابن اثنتين وستين سنة.

ويقال قُتل عكرمة يوم أجنادين بفلسطين، والظاهر أنه استشهد يوم اليرموك، وهو أحد الثلاثة المشهورين الذين تداولوا الماء إيثاراً لصاحبيه، فماتوا جميعاً والماء بين أيديهم ولم يشربوه، تتناوله أيديهم وتعزف أنفسهم إيثاراً، راجين أن يعوضهم الله بدل ماء الدنيا سقيا الكوثر وماء الكافور يفجرونه تفجيراً.



(١) «البداية والنهاية» (٧: ١٠).

أجير أم هانىء
الحارث بن هشام[1]

من شهداء اليرموك من الصحابة الكرام الحارث بن هشام، القرشي، المخزومي، عم عكرمة ابن أبي جهل، وابن عم خالد بن الوليد، وابن عم حنتمة أم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

شهد الحارث بدراً كافراً مع شقيقه أبي جهل، وفر حينئذ، وقُتل أخوه، وعيّره لفراره ذلك حسان بن ثابت فقال[2]:

إن كنت كاذبة بما حدّثتني ... فنجوتُ منجي الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ... ونجا برأسي طمرة[3] ولجام

فاعتذر الحارث بن هشام من فراره يومئذ بما زعم الأصمعي أنه لم يسمع بأحسن من اعتذاره ذلك من فراره، وهو قوله:

الله يعلمُ ما تركت قتالهم ... حتىٰ رموا فرسي بأشقر مزبد[4]
ووجدتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم ... في مأزق والخيل لم تتبددِ
فعلمتُ أني إن أقاتل واحداً ... أقتل ولا يبكي عدوي مشهدي
فصدرت عنهم والأحبة دونهم ... طمعاً لهم بعقاب يوم مفسدِ

وشهد الحارث غزوة أحد مع المشركين، ولا شك أنه وقف علىٰ جراحات المسلمين آنذاك، ولكنه كان كريماً، شهماً، رُوي أن رسول الله ﷺ ذكر الحارث ابن هشام وفعله في الجاهلية في قِرىٰ الضيف وإطعام الطعام، فقال: إنّ الحارث

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (١: ٣٠١)، «أسد الغابة» (١: ٣٥١)، «الإصابة» (١: ٢٩٣).

(٢) «الاستيعاب» (١: ٣٠٢).

(٣) طمرة: فرس كثيرة الجري مشرفة. انظر: «لسان العرب» (٤: ٥٠٣).

(٤) الأشقر المزبد: الدم، فلعله يريد أن فرسه جُرح فعلاه دمعه.

لسري وإن كان أبوه لسرياً، ولوددت أنّ الله هداه إلىٰ الإسلام[1]، وفي ذلك أنشد الشاعر:

أظننت أن أباك حين تسبُّني ... في المجد كان الحارث بن هشام
أولىٰ قريشٍ بالمكارمِ والنّدىٰ ... في الجاهلية كان والإسلام[2]

ولما كان يوم فتح مكة استأمنت أم هانىء بنت أبي طالب له النبي ﷺ فأمّنه، فأراد علي كرّم الله وجهه قتله وحاول أن يغلبها عليه، فدخل النبي ﷺ منزلها ذلك الوقت، فقالت: يا رسول الله؛ ألا ترىٰ إلىٰ ابن أمي يريد قتل رجلٍ أجرته؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أجرنا من أجرت وأمنا من أمنت»[3]، فأمنه فأسلم، وحسن إسلامه، وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم بعدئذ فلم ير منه في إسلامه شيء يكره، وشهد مع رسول الله ﷺ حنيناً، فأعطاه مائة من الإبل كما أعطىٰ المؤلفة قلوبهم، لأنه ممن حسن إسلامه منهم.

لقد أثر هذا الخلق النبوي الشريف في نفس الحارث بن هشام طيلة مسيرته مع النبي ﷺ المزهرة، وبعد التحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلىٰ كان له كلمة الفصل في سقيفة بني ساعدة إذ هو سيد بني مخزوم لا يعدله أحد إلا أهل السوابق مع رسول الله ﷺ فقام فقال: والله لولا قول رسول الله ﷺ: «الأئمة من قريش»[4] ما أبعدنا منها الأنصار، ولكانوا لها أهلاً، ولكنه قول لا شك فيه، فوالله لو لم يبق من قريش كلها إلا رجل واحد لصير الله هذا الأمر فيه[5].

سأل الحارث بن هشام النبي ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحيانا مثل صلصلة الجرس[6]، وهو أشده علي، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً

---

(١) «الاستيعاب» (١: ٣٠٢).
(٢) «الإصابة» (١: ٢٩٤).
(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٤: ٤٠)، وانظر: «فتح الباري» (١: ٤٧٠).
(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤: ٥٠١).
(٥) «الإصابة» (١: ٢٩٤).
(٦) الصلصلة في الأصل صوت وقوع الحديد بعضه علىٰ بعض ثم أطلق علىٰ كل صوت له طنين. «فتح الباري» (٢: ٢٠).

فيكلمني فأعي ما يقول. قالت عائشة: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم[1] عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً»[2]. وروىٰ ابنه عبد الرحمٰن أنه قال: يا رسول الله، أخبرني بأمر اعتصم به، فقال: «أمسك عليك هذا، وأشار إلىٰ لسانه، قال عبد الرحمٰن: فرأيت أن ذلك يسير، وكنت رجلاً قليل الكلام، ولم أفطن له، فلما رمته فإذا لا شيء أشد منه[3].

خرج الحارث بن هشام من مكة فجزع أهل مكة جزعاً شديداً، فلم يبق أحد يطعم إلا وخرج معه يشيعه، حتىٰ إذا كان بأعلىٰ البطحاء أو حيث شاء الله من ذلك، وقف، ووقف الناس حوله يبكون، فلما رأىٰ جزع الناس قال: يا أيها الناس، إني والله ما خرجت رغبة بنفسي عن أنفسكم، ولا اختيار بلد علىٰ بلدكم، ولكن كان هذا الأمر، فخرجت فيه رجال من قريش، والله ما كانوا من ذوي أسنانها ولا من بيوتاتها فأصبحنا والله لو أن جبال مكة ذهب فأنفقناها في سبيل الله ما أدركنا يوماً من أيامهم، والله لئن فاتونا به في الدنيا لنلتمسن إن نشاركهم به في الآخرة، فاتق الله امرؤ، ثم خرج إلىٰ الشام.

إنه أحد الثلاثة الذين تداولوا الماء يوم اليرموك، وهو الذي كان يقاتل الكفار ويرتجز:

إنِّي بربي والنبي مؤمنٌ
والبعث من بعد الممات موقنٌ
أقبح بشخص للحياة موطن

ولم يزل كذلك حتىٰ استشهد، ويقال: توفي في طاعون عمواس، والله أعلم.



---

(١) الفصم القطع، أي يتجلىٰ ما يغشاني، «فتح الباري» (١: ٢٠).
(٢) رواه البخاري كتاب بدء الوحي حديث رقم ٢.
(٣) «الاستيعاب» (١: ٣٠٤).

ذو الرمحين

عياش ابن أبي ربيعة[1]

ثالث أهل الإيثار من شهداء اليرموك الأبرار هو ذو الرمحين عياش ابن أبي ربيعة، أسلم قديماً قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلىٰ الحبشة، ومعه زوجته، وولد له بها ابنه عبد الله، ثم جمع بين الهجرتين فهاجر إلىٰ المدينة مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نزلا قباء، خرج إليه أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام، وكان ابن عمهما وأخاهما لأمهما حتىٰ قدما المدينة، ورسول الله ﷺ بمكة، فكلماه وقالا: إن أمك قد نذرت أن لا يمس رأسها مشط حتىٰ تراك، ولا تستظل من شمس حتىٰ تراك، فرق لها، فقال له عمر رضي الله عنه: إنه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم، فوالله لو قد آذىٰ أمك القمل لامتشطت، ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت، فقال: أبر قسم أمي، ولي هنالك مال فآخذه، فقال عمر: والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مالاً، فلك نصف مالي، ولا تذهب معهما، فأبىٰ إلا أن يخرج معهما، قال عمر: أما إذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتي هذه، فإنها ناقة نجيبة ذلول، فالزم ظهرها، فإن رابك من القوم ريب، فانج عليها، فخرج معهما حتىٰ إذا كانوا ببعض الطريق، قال له أبو جهل: يا ابن أخي، والله لقد استغلظت بعيري هذا، أفلا تعقبني علىٰ ناقتك هذه؟ قال عياش: بلىٰ، قال: فأناخ، وأناخا ليتحول عليها، فلما استووا بالأرض عدوا عليه، فأوثقاه وربطاه، ثم دخلا به مكة، وقالا: يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم، كما فعلنا بسفيهنا هذا، وفتناه فافتتن[2]، وفتن معه آخرون.

وكان الناس عندئذ يقولون: ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولا عدلاً ولا توبة، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل قوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[الزمر: ٥٣]

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد (٤: ١٢٩)»، «الاستيعاب» (٣: ١٢٣٠)، «أسد الغابة» (٤: ١٦١)، «الإصابة» (٣: ٤٧).

(٢) «السيرة النبوية» لابن هشام (٣: ٨٥).

أما رسول الله ﷺ فكان حين يرفع رأسه من الركوع يقنت ويقول: سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد يدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول: «اللهم أنجِ الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش ابن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك علىٰ مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[١].

وببركة دعاء النبي ﷺ في القنوت أفلت الوليد بن الوليد من الوثائق فقدم المدينة فسأله رسول الله ﷺ عن عياش وسلمة، فقال: تركتهما في ضيق وشدة وهما في وثاق؛ رجل أحدهما مع رجل صاحبه، فقال له رسول الله ﷺ: انطلق حتىٰ تنزل بمكة علىٰ القين فإنه قد أسلم، فتغيّب عنده، واطلب الوصول إلىٰ عياش وسلمة فأخبرهما أنك رسول رسول الله بأن تأمرهما أن ينطلقا حتىٰ يخرجا[٢] فخرج الوليد إلىٰ مكة، قدمها مستخفياً فلقي امرأة تحمل طعاماً فقال لها: أين تريدين يا أمة الله؟ قالت: أريد هذين المحبوسين ـ تعنيهما ـ فتبعها حتىٰ عرف موضعهما، وكانا محبوسين في بيت لا سقف له، فلما أمسىٰ تسور عليهما ثم أخذ مروة ـ حجراً ـ فوضعها تحت قيدهما، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما، فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك، ثم حملهما علىٰ بعيره[٣]، وكان يسوق بهما مخافة من الطلب والفتنة حتىٰ انتهيا إلىٰ ظهر حرة المدينة، وطلبهم ناس من قريش ليردوهم، فلم يقدروا عليهم، لأن النبي ﷺ لما علم بمخرجهم دعا لهم، فنجاهم الله تعالىٰ.

روىٰ عياش رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لا تزال هذه الأمة بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها ـ يعني الكعبة والحرم ـ فإذا ضيعوها هلكوا»[٤].

إنه الشجاع الملقب بذي الرمحين، ولا شك أن ذلك لبأسه وقوته، وهو الشهم ذو الإيثار، إذ هو أحد الثلاثة الذين تداولوا الماء في اليرموك ولم يصل إلىٰ واحد منهم حتىٰ ماتوا[٥]، وقيل في استشهاده غير ذلك، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأذان رقم (٤٥٦٠).
(٢) «طبقات ابن سعد» (٤ : ١٣٢).
(٣) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢ : ٨٦).
(٤) «الإصابة» (٣ : ٤٧).
(٥) «أسد الغابة» (١ : ٣٥٢).

خطيب قريش

سهيل بن عمرو[١]

من أهل الإيثار من شهداء اليرموك الأبرار خطيب قريش سهيل بن عمرو العامري، المكي، الصحابي الجليل، مذكور في صلح الحديبية، وفي أول قتال أهل البغي، أحد سادات قريش، وأشرافهم وعقلائهم، أبو يزيد.

شهد بدراً مع المشركين، وحرض الناس بمكة للخروج إليها، وقام خطيباً يتبرع بالأموال والقوة والنفس، فأسر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أنزع ثنيته حتىٰ يدلع لسانه، فلا يقوم عليك خطيباً، وكان سهيل أعلم ـ مشقوق الشفة ـ[٢] فقال رسول الله ﷺ: دعه فعسىٰ أن يقوم مقاماً تحمده[٣]، وكان الأمر علىٰ ما قال رسول الله ﷺ؛ إذ لما التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلىٰ، ارتد بعض العرب، وماج أهل مكة، وكادوا يرتدون، فقام فيهم سهيل فخطب بمثل خطبة أبي بكر الصديق بالمدينة كأنه يسمعها فقال: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[٤]، وقال: يا معشر قريش لا تكونوا آخر من أسلم، وأول من ارتد، والله ليمتدن هذا الدين امتداد الشمس والقمر من طلوعهما إلىٰ غروبهما[٥]، فسكن الناس.

ولما أسر سهيل يوم بدر قال: لقد رأيت رجالاً بيضاً علىٰ خيل بلق بين السماء والأرض معلمين[٦]، وجعل المسلمون القيد في رجليه، فقدم مكرز بين

---

(١) ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (١:٢٣٩)، «سير النبلاء» (١:١٩٤)، «صفة الصفوة» (١:٧٣١)، «الاستيعاب» (٢:٦٩٩)، «أسد الغابة» (٢:٣٧٠)، «العقد الثمين» (٤:٦٢٤)، «الإصابة» (٢:٩٤).

(٢) ذكر ابن خالويه أن السر في قوله: أنزع ثنيته أنه كان أعلم ـ مشقوق الشفة العليا ـ والأعلم إذا نزعت ثنيتاه لم يستطع الكلام. انظر: «الإصابة» (٢:٩٤).

(٣) «الاستيعاب» (٢:٦٩٩).

(٤) «الإصابة» (٢:٩٣).

(٥) «أسد الغابة» (٢:٣٧١).

(٦) «الإصابة» (٢:٩٤).

حفص فقاطعهم علىٰ فدائه، وقال لهم: اجعلوا رجلي في القيد مكان رجليه حتىٰ يبعث إليكم بالفداء، ففعلوا ذلك به.

وهو الذي تولىٰ المصالحة يوم الحديبية، وقال رسول الله ﷺ حين رآه: «قد سهل لكم من أمركم»[1] تفاؤلاً باسمه، ولما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل البيت، ثم خرج فوضع يده علىٰ عضادتي الباب فقال: «ماذا تقولون؟ فقال سهيل: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت[2]، فقال رسول الله ﷺ: أقول كما قال أخي يوسف: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، فأسلم سهيل، وكان محمود الإسلام، إذ قال: والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفت مع المسلمين مثله[3] وخرج مع رسول الله إلىٰ حنين، وأعطاه مائة من الإبل مع المؤلفة قلوبهم، فكان بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة، واشتغل بما ينفعه في آخرته حتىٰ شحب لونه وتغير، وكان كثير البكاء رقيقاً عند قراءة القرآن، ورئي يختلف إلىٰ معاذ بن جبل يقرئه القرآن، فقال له ضرار بن الخطاب: يا أبا يزيد، تختلف إلىٰ هذا الخزرجي، ألا يكون اختلافك إلىٰ رجل من قومك من قريش؟ قال يا ضرار: هذا الذي صنع بنا ما صنع، حتىٰ سُبقنا كل السبق، لعمري اختلف ـ أي سأختلف ـ لقد وضع الإسلام أمر الجاهلية، ورفع الله بالإسلام قوماً كانوا في الجاهلية لا يذكرون، فليتنا كنا مع أولئك فتقدمنا، وإني لا أذكر ما قسم الله لي في تقدم أهل بيتي من الرجال والنساء فأسر وأحمد الله عليه وأرجو أن يكون الله تعالىٰ نفعني بدعائهم أن لا أكون مت علىٰ ما مات عليه نظرائي، فقد شهدت مواطن، أنا فيها معاند للحق، يوم بدر ويوم أُحد ويوم الخندق، وأنا وُليت أمر الكتاب يوم الحديبية، يا ضرار، إني لأذكر مراجعتي رسول الله ﷺ يومئذ، وما كنت ألظ به من الباطل، فاستحيي من رسول الله ﷺ وأنا بمكة، وهو يومئذ بالمدينة، ثم قتل ابني عبد الله يوم اليمامة شهيداً فعزاني به

---

(١) رواه البخاري في صحيحه كتاب الشروط حديث رقم (٢٧٣١).

(٢) «الإصابة» (٢: ٩٣).

(٣) «الإصابة» (٢: ٩٤).

أبو بكر وقال: قال رسول الله ﷺ: إن الشهيد ليشفع لسبعين من أهل بيته فأنا أرجو أن أكون أول من يشفع له[1].

وأما عن سبب مسيره إلىٰ الشام فقد روي أنه حضر الناس باب عمر بن الخطاب، وفيهم سهيل وأبو سفيان وأولئك الشيوخ من قريش، فخرج آذنه، فجعل يأذن لأهل بدر؛ لصهيب وبلال، وأهل بدر، وكان يحبهم، وكان قد أوصىٰ بهم، فقال أبو سفيان: ما رأيت كاليوم قط، إنه ليؤذن لهؤلاء العبيد، ونحن جلوس لا يلتفت إلينا، فقال سهيل: أيها القوم إني والله قد رأيت الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضبىٰ فاغضبوا علىٰ أنفسكم، دُعي القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دُعوا يوم القيامة وتركتم، أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتاً من بابكم هذا الذي تنافسون عليه، أيها القوم: إن هؤلاء القوم قد سبقوكم بما ترون، ولا سبيل إلىٰ ما سبقوكم به، فانظروا هذا الجهاد فالزموه، عسىٰ الله أن يرزقكم شهادة، ثم نفض ثوبه، وقام ولحق بالشام.

قال الحسن البصري: صدق سهيل؛ والله لا يجعل الله عبداً له أسرع إليه، كعبد أبطأ عنه[2].

لقد استقر عنده الأمر علىٰ أن يستدرك ما فاته من الفضل، فخرج بجماعة من أهله فاستشهدوا، ولم يرجع منهم أحد إلا بنت ابنه فاختة بنت عقبة بن سهيل، ورجع عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: زوجوا الشريد الشريدة، ففعلوا، فنشر الله منهما عدداً كثيراً[3].

استشهد سهيل رضي الله عنه يوم اليرموك وهو علىٰ كردوس، وقيل[4]: مات في طاعون عمواس. وقيل[5]: كان من الثلاثة الذين تداولوا الماء في اليرموك ولم يشربوه فعليه رحمة الله.

---

(١) «أسد الغابة» (٢: ٣٧٣).

(٢) «الاستيعاب» (٢: ٦٩٩).

(٣) «العقد الثمين» (٤: ٦٢٩).

(٤) «شذرات الذهب» (١: ٣٠).

(٥) «طبقات ابن سعد» (٥: ٣٢٩).

القرشي المخزومي

سلمة بن هشام[1]

سلمة بن هشام بن المغيرة، القرشي المخزومي، أحد الخمسة الإخوة أبناء هشام بن المغيرة، وهم: الحارث، وسلمة، وخالد، والعاص، وأبو جهل، فأما أبو جهل والعاص فقتلا ببدر كافرين، وأسر خالد يومئذ ثم فدي، ومات كافراً، وأسلم الحارث وسلمة، وكانا من خيار المسلمين.

كان سلمة من خيار الصحابة وفضلائهم، وكان قديم الإسلام، منع من الهجرة، واحتبس بمكة، وعذب في الله عز وجل، وكان رسول الله ﷺ يدعو له في صلاته، ويقنت بالدعاء له ولغيره من المستضعفين بمكة، إذ كان ﷺ يرفع رأسه من الركوع يقنت ويقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد» ويدعو لرجال فيسميهم بأسمائهم فيقول: «اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام، وعياش ابن أبي ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك علىٰ مُضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[2]، وببركة دعاء النبي ﷺ نجاهم الله تعالىٰ، وهؤلاء الثلاثة من بني مخزوم، فأما الوليد فهو أخو خالد، وأما عياش فهو ابن عم خالد رضي الله عنهم أجمعين.

ولحق سلمة برسول الله ﷺ بالمدينة المنورة، وذلك بعد الخندق، ولما أراد اللحاق بالنبي ﷺ ودعته أمه ضباعة فقالت:

فلم يزل سلمة مع النبي ﷺ في المدينة إلىٰ أن توفي رسول الله ﷺ فخرج مع المسلمين إلىٰ الشام حين بعث أبو بكر الجيوش لقتال الروم.

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٢:٦٤٣)، «العقد الثمين» (٤:٥٩٩)، «أسد الغابة» (٢:٣٤١)، «الإصابة» (٢:٦٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأذان، حديث رقم (٤٥٦٠).

اختلف في زمن استشهد سلمة[1]، فقيل: يوم مرج الصفر سنة أربع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: بل استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة في جمادىٰ الأولىٰ قبل موت أبي بكر بأربع وعشرين ليلة، وقيل: باليرموك، والله تعالىٰ أعلم وأحكم.

إن السابقين من الصحابة الكرام هم الأفضلون، الصابرون، المجاهدون، المتصدقون، الصادقون، الصالحون، الباذلون، العابدون، السائحون، الذاكرون الله كثيراً والساجدون، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

❑ ❑ ❑

---

(١) «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (٤:٤٦)، «الكامل في التاريخ» (٢:٢٨٧)، «البداية والنهاية» (٧:١٤).

قصة أبناء أبي أحيحة

أبو أحيحة هو سعيد بن العاص القرشي، الأموي، يجتمع مع رسول الله ﷺ في عبد مناف، وهو من أكابر قريش[1]، إلا أنه مشرك، مات علىٰ ذلك، كان لسعيد ثمانية بنين كلهم ذكور؛ منهم ثلاثة ماتوا علىٰ الكفر، وهم: أحيحة، وبه يكنىٰ سعيد، قتل يوم الفجار. العاصي، قتل يوم بدر مشركاً، قتله علي كرم الله وجهه. عبيدة، قتل يوم بدر أيضاً مشركاً، قتله الزبير، قال الزبير: لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد، وهو مدجج في الحديد، لا يرىٰ منه إلا عيناه، وكان يكنىٰ أبا ذات الكرش، فطعنته بالعنزة ـ رمح فوق العصا ودون الرمح ـ في عينه فمات[2].

وأما الخمسة الباقون من أبناء أبي أحيحة فمسلمون من مشاهير الصحابة، منهم سعيد ابن أبي أحيحة، والحكم، وهو الذي غيّر رسول الله ﷺ اسمه، فسماه عبد الله، وباقي هؤلاء الخمسة الكرام شهداء علىٰ أرض الشام، سنأتي علىٰ ذكرهم عن قريب بإذن الله.

كان أبو أحيحة شديد العداء لرسول الله ﷺ، ولكن ولده خالداً أسلم ثالثاً أو رابعاً، فغاظ إسلامه أباه، وأصابه الغم، وقال: لأعتزلنّ في مالي، لا أسمع شتم آبائي، ولا عيب آلهتي، وهو أحب إلي من المقام مع هؤلاء الصُباة، فاعتزل في ماله نحو الطائف بالظريبة[3]، ومات فيها.

أما أولاده الثلاثة الباقون، فأبلوا في الإسلام بلاء حسناً، وجعلهم رسول الله ﷺ عمالاً له علىٰ الأمصار، حتىٰ مات ﷺ، فقالوا: نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله أبداً ثم مضوا إلىٰ الشام فقتلوا جميعاً.

وكان استشهاد أولهم في أجنادين، واستشهد الآخران في اليرموك، وقيل: استشهدوا جميعاً في أجنادين، ومن ثم آثرت الحديث عنهم جميعاً، والله سبحانه أعلم بمواطن استشهادهم.

---

(١) «سير النبلاء» (١: ٢٦٠).

(٢) «الاستيعاب» (١: ٦٢-٦٣).

(٣) «معجم البلدان» (٤: ٥٩).

شهيد أجنادين

خالد ابن أبي أحيحة[1]

السيد، الكبير، أبو سعيد، خالد بن سعيد بن العاص، القرشي، الأموي، أحد السابقين الأولين، كان أول إخوته إسلاماً، كان بدء إسلامه أنه رأىٰ في النوم أنه واقف علىٰ شفير النار، فذكر من سعتها ما الله به أعلم، ورأىٰ أباه يدفعه في النار، ورأىٰ رسول الله آخذاً بحقويه لئلا يقع، ففزع من نومه، فقال: احلف بالله إن هذه لرؤيا حق، فلقي أبا بكر رضي الله عنه، فذكر ذلك له، فقال أبو بكر: أريد بك خيرٌ، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، فإنك ستتبعه وتدخل معه في الإسلام الذي يحجزك من أن تقع فيها، وأبوك واقع فيها، فلقي رسول الله ﷺ وهو بأجياد، فقال: يا محمد إلىٰ ما تدعو؟ قال: «أدعو إلىٰ الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع، ولا يبصر، ولا يضر، ولا ينفع، ولا يدري من عبده ممن لم يعبده»[2]، قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، فسر رسول الله ﷺ بإسلامه، وكان إسلامه ثالثاً أو رابعاً.

وتغيب خالد، وعلم أبوه بإسلامه، فأرسل في طلبه، فوجدوه، فأتوا به، فأنبه، وبكّته، وضربه بمقرعة في يده حتىٰ كسرها علىٰ رأسه، ثم قال: اتبعت محمداً، وأنت ترىٰ خلافه قومه، وما جاء به من عيب آلهتهم، وعيب من مضىٰ من آبائهم؟

فقال خالد: قد صدق الله، لا أدع دين محمد حتىٰ أموت عليه.

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤: ٩٤)، «الاستيعاب» (٢: ٤٢٠)، «سير النبلاء» (١: ٢٥٩) «تهذيب تاريخ دمشق» (٥: ٤٨)، «العقد الثمين» (٤: ٢٦٥)، «الإصابة» (١: ٤٠٦).

(٢) «الاستيعاب» (٢: ٤٢٠).

فغضب أبو أحيحة ونال من ابنه، وشتمه، وقال: لأمنعنك القوت ثم أمر به إلىٰ الحبس، وضيق عليه، وأجاعه وأعطشه، حتىٰ مكث في حر مكة ثلاثاً ما يذوق ماء، فقال خالد: إن منعتني فإن الله يرزقني ما أعيش به.

وكان رسول الله ﷺ آنذاك يدعو سراً، ويصلي في نواحي مكة خالياً وما لبث خالد بعدها حتىٰ رأىٰ فرجة، فخرج، وتغيب عن أبيه ولازم رسول الله ﷺ، حتىٰ حضر خروج أصحاب رسول الله ﷺ إلىٰ الحبشة، فكان أول من خرج إليها، ومكث بها، وولد له هناك، ورجع إلىٰ رسول الله ﷺ مع أصحاب السفينتين فوجده في خيبر، فلحقوا به، وأسهم له المسلمون.

ورجع خالد رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، ولازمه فيها، وكان يكتب له، فقد روي أنه أول من كتب بسم الله الرحمٰن الرحيم[1].

إنه الوسيم الجميل، وهو الحزين، لكن ليس علىٰ الدنيا وما فيها، وإنما حزن أن لا يكون شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فبشره رسول الله ﷺ بعظيم أجره فقال: «أما ترضىٰ أن تكون للناس هجرة واحدة، ولكم هجرتان؛ هاجرتم حين خرجتم إلىٰ الحبشة، ثم جئتم من عند صاحب الحبشة مهاجرين إلي»[2]، فشجعه ذلك علىٰ المضي قدماً، فخرج في عمرة القضاء، وغزا معه إلىٰ الفتح، وخرج إلىٰ تبوك وبعثه رسول الله ﷺ عاملاً علىٰ صدقات اليمن، فتوفي رسول الله ﷺ وهو باليمن.

ولما بويع الصديق بالخلافة تأخر خالد ثلاثة أشهر حتىٰ يرىٰ ما يفعل بنو هاشم، وقال لهم: إنكم لطوال الشجر، طيبو الثمر، ونحن تبع لكم، ولما بايع بنو هاشم بايع معهم، وكان رأي أبي بكر فيه حسناً، وكان معظماً له، لأنه إذا نصح صدق، وإذا حكم عدل، ولذلك بعثه أبو بكر إلىٰ الشام في إمرة شرحبيل بن حسنة باختياره وطيب خاطره، ووصىٰ به شرحبيل، فقال أبو بكر لشرحبيل: إذا

---

(١) «سير النبلاء» (١: ٢٦٠).

(٢) «تهذيب تاريخ دمشق» (٥: ٥٠).

نزل بك أمر تحتاج فيه إلىٰ رأي النقي الناصح فليكن أول من تبدأ به أبو عبيدة ومعاذ بن جبل، وليك خالد بن سعيد ثالثاً، فإنك واجد عندهم نصحاً وخيراً، وإياك واستبداد الرأي عنهم، أو تطوي عنهم بعض الخبر.

استشهد خالد رضي الله عنه بالشام، واختلف في موطن استشهاده، فقيل[١]، في الصفر، وقيل[٢]، في أجنادين، والله أعلم، لكن الذي يدعو للتأمل والتدبر ما روي أن خالداً لما استشهد قال الذي قتله بعد أن أسلم: من هذا الرجل؟ فإني رأيت نوراً له ساطعاً إلىٰ السماء[٣].

لقد قتل ولده أيضاً في الدثنة[٤]، لتكون عائلة مباركة بالشهداء بإذن الله تبارك وتعالىٰ.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٤ : ٩٤).

(٢) «سير النبلاء» (١ : ٢٦٠)، «تهذيب تاريخ دمشق» (٥ : ٥٥)، «العقد الثمين» (١ : ٢٦٦).

(٣) «سير النبلاء» (١ : ٢٦٠).

(٤) «الكامل في التاريخ» (٢ : ٢٧٧).

ناقش الخاتم النبوي

عمرو بن سعيد الأموي[1]

أحد أبناء أبي أحيحة من شهداء اليرموك[2] عمرو بن سعيد، القرشي، الأموي، أسلم قديماً، بعد إسلام أخيه خالد يسير، وهاجر الحبشة مرتين، وكانت الهجرة الثانية مع امرأته فاطمة بنت صفوان الكنانية، ولم يزل بها حتىٰ حمل في السفينتين مع أصحاب النبي ﷺ فقدموا عليه وهو بخيبر سنة سبع.

شهد عمرو مع النبي ﷺ الفتح وحنيناً والطائف وغزوة تبوك، واستعمله رسول الله ﷺ علىٰ ثمار خيبر وعلىٰ قرىٰ عرينه[3] ومنها تبوك وفدك، ولكنه كإخوانه حين بلغهم موت رسول الله ﷺ رجعوا عن أعمالهم، فقال أبو بكر الصديق: ما أحد أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ، ارجعوا إلىٰ أعمالكم فأبوا، فخرجوا إلىٰ الشام فقتلوا رضي الله عنهم[4].

قدم عمرو بن سعيد من الحبشة إلىٰ رسول الله ﷺ ومعه حلقة في يده، فنظر إليها رسول الله ﷺ فقال: ما هذه الحلقة في يدك يا عمرو قال: هذه حلقة صنعتها يا رسـول الله قال: فما نقشها؟ قال: محمد رسول الله، قال: أرنيه، فتختمه رسول الله ﷺ، ونهىٰ أن ينقش أحد عليه، ومات وهو في يده، ثم أخذه أبو بكر بعد ذلك فكان في يده، ثم أخذه عمر فكان في يده، ثم أخذه عثمان فكان في يده عامة خلافته[5] حتىٰ سقط منه في بئر أريس[6].

---

(١) انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤: ١٠٠)، «الاستيعاب» (٣: ١١٧٧)، «سير النبلاء» (١: ٢٦١)، «أسد الغابة» (٤: ١٠٧)، «العقد الثمين» (٦: ٣٨٧).

(٢) انظر: «تاريخ ابن جرير» (٤: ٣٦)، «الكامل» (٢: ٢٨٤)، «البداية والنهاية» (٧: ١٤).

(٣) ويقال قرىٰ عربية، وقد ذكرها الحموي في مادة عرينة علىٰ الصورتين؛ قرىٰ عرينة وقرىٰ عربية.

(٤) «سير النبلاء» (١: ٢٦٢).

(٥) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (١: ٤٧٤)، «الاستيعاب» (٣: ١١٧٨).

(٦) بئر تجاه مسجد قباء، علىٰ ميلين من المدينة المنورة، «معجم البلدان» (١: ٢٩٨).

إن هذا لفضل عظيم، أن يتختم رسول الله ﷺ بخاتمه، وإنه لحب كبير أن ينقش عمرو اسم النبي ﷺ علىٰ خاتمه، بالإضافة إلىٰ مشاركته إياه بطولاته.

قال ابن إسحاق: قتل عمرو يوم اليرموك، وذكر أهل السير أنه استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة، وقيل: إنه قتل يوم مرج الصفر، ولعل هذا الإشكال بسبب قرب هذه الحوادث جميعاً، فعليه رحمة الله ورضوانه.

❑ ❑ ❑

أبو الوليد

أبان بن سعيد[1]

من أبناء أبي أحيحة من شهداء معركة اليرموك[2] أبان بن سعيد بن العاص، الأموي، شهد بدراً مع المشركين، ونجا، وقتل أخواه.

كان أبان شديداً علىٰ رسول الله ﷺ والمسلمين، وكان سبب إسلامه أنه خرج تاجراً إلىٰ الشام، فدخل قرية فيها راهب لم ير له وجه منذ أربعين سنة، ونزل الراهب بعدها ووافق نزوله وجود أبان في تلك القرية، فلقيه أبان، فسأله عن رسول الله ﷺ قائلاً له: إني رجل من قريش، وإن رجلاً منا خرج فينا يزعم أنه رسول الله، أرسله مثلما أرسل موسىٰ وعيسىٰ، فقال: ممن هو؟ قلت: من قريش، قال: ما اسم صاحبكم؟ قلت: محمد، قال الراهب: فإني أصفه لك ثم أخبرك عنه. قلت: بلىٰ، فذكر الراهب صفة النبي ﷺ وسنه ونسبه، فقال أبان: هو كذلك والله ما أخطأت من صفته ولا من أمره واحدة، فأخبرني عنه، فقال: ما اسمك؟ قلت: أبان، قال: كيف أنت؟ أصدقته أم كذبته؟ قلت: بلىٰ كذبته، فرفع الراهب يده فضرب ظهري بكف لينة واحدة، ثم قال: أيخط بيده؟ قلت: لا، قال: هو والله نبي هذه الأمة، والله ليظهرن عليكم ثم ليظهرن علىٰ العرب ثم ليظهرن علىٰ الأرض، وقال لأبان: اقرأ علىٰ الرجل الصالح السلام، ودخل صومعته، وتشبث الناس به فأبىٰ، فلما عاد أبان أسلم وحسن إسلامه[3]، إلا أن إسلامه تأخر عن إسلام أخويه، خالد بن سعيد، وعمرو بن سعيد، إذ لما سبقاه عاتبهما علىٰ ذلك فقال:

---

(١) ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (١:٤٥٠)، «الاستيعاب» (١:٦٢)، «أسد الغابة» (١:٣٥)، «سير النبلاء» (١:١٦٢)، «تهذيب تاريخ دمشق» (٢:١٢٧)، «الإصابة» (١:١٣)، «العقد الثمين» (٣:١٩٧).

(٢) «تاريخ ابن جرير» (٤:٣٦)، «الكامل» (٢:٢٨٤)، «البداية والنهاية» (٧:١٤).

(٣) انظر تمام القصة في: «تهذيب تاريخ دمشق (٢:١٢٨)، و«أسد الغابة» (١:٣٥).

ألا ليت ميتاً بالظريبة[1] شاهد بما يفترىٰ في الدين عمرو وخالد

أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا يعينان من أعدائنا من يكايد

فأجابه عمرو فقال في إجابته:

فدع عنك ميتاً قد مضىٰ لسبيله وأقبل علىٰ الحي الذي هو أفقر[2]

وأقام أبان علىٰ الشرك زمناً، وهو الذي أجار عثمان رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ قريش في عام الحديبية، فأردفه علىٰ فرسه حتىٰ دخل به مكة وقال له:

أقبل[3] وأدبر ولا تخف أحداً بنو سعيد أعزة الحرم

وأسلم أبان بعد ذلك سنة سبع من الهجرة وحسن إسلامه وبعثه رسول الله ﷺ من المدينة قبل نجد[4]، واستعمله رسول الله ﷺ علىٰ البحرين، ولم يزل عليها إلىٰ أن توفي رسول الله ﷺ، وحدث عن رسول الله ﷺ فقال: «إن النبي ﷺ وضع كل دم في الجاهلية فمن أحدث حدثاً أخذته به»[5].

ولما خرج أبان إلىٰ البحرين عقد له رسول الله ﷺ اللواء الأبيض، والراية السوداء، وحمل اللواء رافع مولىٰ رسول الله ﷺ، ووصاه بأصحابه، ووصاهم به، وبقي علىٰ الصدقات حتىٰ توفي رسول الله ﷺ فقال: أبلغوني مأمني، فقال أهل البحرين: «بل أقم فلنجاهد معك في سبيل الله فإن الله معز دينه ومظهره علىٰ ما سواه فقال: بل أبلغوني مأمني فأشهد أمر أصحاب رسول الله، فليس مثلي يغيب عنهم، فأحيا بحياتهم وأموت بموتهم[6].

---

(١) الظريبة تصغير ظربة: مكان يشرف علىٰ الطائف، ويعني بالميت أبا أحيحة الذي دفن به. انظر: «أسد الغابة» (١: ٣٥)، «معجم البلدان» (٤: ٥٩).

(٢) في أسد الغابة: أقفر.

(٣) في «العقد الثمين»: أسبل، ذلك أن قريشاً قالت لعثمان: شمر إزارك. انظر: «العقد الثمين (٣: ١٩٨).

(٤) رواه البخاري (٤٢٣٨).

(٥) «التاريخ الكبير» للبخاري (١: ٤٥٠).

(٦) «تهذيب تاريخ دمشق» (٢: ١٣٢).

فرجع إلىٰ المدينة، فأراد أبو بكر رضي الله عنه أن يرده إليها، فقال أبان: لا أعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ، وقيل: عمل لأبي بكر رضي الله عنه علىٰ بعض اليمن والله تعالىٰ أعلم، وكان أبان رضي الله عنه أحد من تخلف عن بيعة أبي بكر رضي الله عنه لينظر ما يصنع بنو هاشم، فلما بايعوه بايع.

أُختلف في وقت وفاته، فقيل: استشهد في فلسطين بأجنادين، والظاهر أنه في اليرموك مع أخيه عمرو بن سعيد، وقيل: يوم مرج الصفر، وسبب هذا الاختلاف قرب هذه الأيام بعضها من بعض[1]، والله تعالىٰ أعلم.

❑ ❑ ❑

---

(١) «العقد الثمين» (٣:١٩٩).

ذو النور وابن ذي النور

الطفيل بن عمرو الدوسي[1]

وعمرو بن الطفيل الدوسي[2]

كان الطفيل بن عمرو الدوسي سيداً مطاعاً، من أشراف العرب، شاعراً، قال: كنت رجلاً شاعراً سيداً في قومي، فقدمت مكة، فمشيت إلىٰ رجالات قريش، فقالوا: يا طفيل، إنك امرؤ شاعر، سيد مطاع في قومك، وإنا خشينا أن يلقاك هذا الرجل ـ يعنون النبي ﷺ ـ فيصيبك ببعض حديثه، فإنما حديثه كالسحر، فاحذره أن يدخل عليك وعلىٰ قومك ما أدخل علينا وعلىٰ قومنا، فإنه يفرق بين المرء وابنه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وأبيه، فوالله ما زالوا يحدثونني في شأنه، وينهونني أن أسمع منه حتىٰ قلت: والله لا أدخل المسجد إلا وأنا ساد أذني، قال: فعمدت إلىٰ أذني فحشوتهما كرسفاً ـ أي قطناً ـ ثم غدوت إلىٰ المسجد، فإذا برسول الله ﷺ قائم في المسجد، فقمت منه قريباً، وأبىٰ الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إن هذا للعجز، والله إني امرىء ثبت، ما يخفىٰ علي من الأمور حسنها ولا قبيحها، والله لأستمعن منه، فإن كان أمره رشداً أخذت منه، وإن كان غير ذلك اجتنبته، فقلت بالكرسفة ـ وكان يقال له بها: ذو القطنتين ـ فنزعتها من أذني، فالقيتها، ثم استمعت له، فلم أسمع كلاماً قط أحسن من كلام يتكلم به فقلت في نفسي: يا سبحان الله، ما سمعت كاليوم لفظاً أحسن منه ولا أجمل قال: ثم انتظرت رسول الله ﷺ حتىٰ انصرف، فاتبعته، فدخلت معه بيته، فقلت له: يا محمد، إن قومك جاءوني، فقالوا: كذا وكذا، فأخبرته بالذي قالوا، وقد أبىٰ الله إلا أن أسمعني منك ما

---

(١) ترجمة الطفيل في: «سير النبلاء» (١: ٣٤٤)، «الاستيعاب» (٢: ٧٥٦)، «الطبقات الكبرىٰ» (٤: ٢٣٧)، «أسد الغابة» (٣: ٥٤)، «الإصابة» (٢: ٢٢٥).

(٢) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ١١٨٤)، «أسد الغابة» (٤: ١١٥)، «الإصابة» (٢: ٥٤٤).

تقول، وقد وقع في نفسي أنه حق، فاعرض علي دينك، وما تأمر به، وما تنهىٰ عنه، فعرض علي رسول الله ﷺ فأسلمت.

قلت: يا رسول الله إني أرجع إلىٰ دوس، وأنا فيهم مطاع، وأنا داعيهم إلىٰ الإسلام لعل الله أن يهديهم، فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عوناً عليهم فيما أدعوهم إليه، فقال: «اللهم اجعل له آية تعينه علىٰ ما ينوي من الخير».

قال الطفيل: فخرجت حتىٰ أشرفت علىٰ ثنية أهلي التي تهبطني علىٰ حاضر دوس، وأبي هناك شيخ كبير، وامرأتي ووالدتي، فلما علوت الثنية وضع الله بين عيني نوراً، مثل المصباح، يتراءاه الحاضر في ظلمة الليل، وأنا منهبط من الثنية، فقلت: اللهم في غير وجهي، فإني أخشىٰ أن يظنوا أنها مثلة لفراق دينهم، فتحول في رأس سوطي، فلقد رأيتني أسير علىٰ بعيري إليهم، وإنه علىٰ رأس سوطي كأنه قنديل معلق فيه حتىٰ قدمت عليهم، فقال: فأتاني أبي فقلت: إليك عني، فلست منك، ولست مني، قال: وما ذاك يا بني؟ فقلت: أسلمت واتبعت دين محمد، فقال: أي بني، فإن ديني دينك، فأسلم وحسن إسلامه، ثم أتتني صاحبتي، فقلت: إليك عني، فلست منك ولست مني قالت: وما ذاك بأبي وأمي أنت! قلت: أسلمت واتبعت دين محمد، فلست تحلين لي، ولا أحل لك، قالت: فديني دينك، قلت: فاعمدي إلىٰ هذه المياه فاغتسلي منها، وتطهري وتعالي، قال: ففعلت، ثم جاءت فأسلمت وحسن إسلامها[1]، وبذلك سمي ذا النور.

وخرج الطفيل علىٰ قومه دوس، فدعاهم إلىٰ الإسلام، فأبوا عليه، وعصوه، فرجع إلىٰ النبي ﷺ فقال: إن دوساً قد هلكت وعصت وأبت فادع الله عليهم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد دوساً وائت بهم»[2]. ثم رجع إليهم، وأقام بين

---

(١) انظر: القصة بتمامها في «سير النبلاء» (١: ٣٤٥)، «الطبقات الكبرىٰ (٤: ٢٣٧)، «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢: ٧٥٩).

(٢) رواه البخاري في الصحيح كتاب المغازي حديث رقم (٤٣٩٢)، ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٥٢٤).

ظهرانيهم، يدعوهم إلىٰ الإسلام، حتىٰ استجاب له ببركة دعاء النبي ﷺ ثمانون أو تسعون من دوس، فهاجر بهم إلىٰ رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة، وشاركوا بخيبر، وقالوا: يا رسول الله: اجعلنا علىٰ ميمنتك، واجعل شعارنا مبرور ففعل، فشعار الأزد كلها إلىٰ اليوم مبرور، كذا قال صاحب الطبقات[1].

وبقي الطفيل رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتىٰ فتح الله مكة فقال: يا رسول الله، ابعثني إلىٰ ذي الكفين ـ صنم عمرو بن حممة ـ حتىٰ أحرقه وكان من خشب، قال رسول الله ﷺ: «أجل، فاخرج إليه فحرقه»، قال الطفيل: فخرجت حتىٰ قدمت عليه، فجعلت أوقد النار وهو يشتعل وأنا أقول:

يا ذا الكفين لست من عبادكا ميلادنا أكبر من ميلادكا

إني حشوت النار في فؤادكا

وأقام الطفيل مع النبي ﷺ حتىٰ قبض، ثم شارك في حروب المرتدين، حتىٰ إذا كان ببعض الطريق، قال لأصحابه إني رأيت رؤيا عبروها، قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت رأسي حلق، وخرج من فمي طائر، ولقيتني امرأة فأدخلتني في فرجها، وكان ابني يطلبني طلباً حثيثاً، فحيل بيني وبينه، قالوا خيراً، فقال: أما أنا والله فقد أولتها، أما حلق رأسي فقطعه، وأما الطائر فروحي، وأما المرأة التي أدخلتني في فرجها فالأرض تحفر لي، وأدفن فيها، فقد رجوت أن أقتل شهيداً وأما طلب ابني إياي فلا أراه إلا سيغدو في طلب الشهادة، ولا أراه يلحق في سفرنا هذا.

اختلف المؤرخون في استشهاد الطفيل، فقيل[2]: في اليمامة، وقيل[3]: في اليرموك، وقيل[4]: في أجنادين.

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٤ : ٢٣٩).

(٢) «الطبقات الكبرىٰ» (٢ : ٢٣٧)، «الاستيعاب» (٢ : ٧٥٦).

(٣) «تاريخ الأمم والملوك للطبري (٤ : ٣٦)، «الكامل في التاريخ» (٢ : ٢٨٤).

(٤) انظر: «فتح الباري» (٥ : ١٠٢).

وأما عمرو بن الطفيل فتقرر في كتب التاريخ أنه قتل في اليرموك شهيداً، وهو صحابي جليل كوالده، أسلم بعد والده، والتحق بالنبي ﷺ بخيبر، فبعثه رسول الله ﷺ إلىٰ قومه يستمدهم، وكان يشتاق للشهادة، فقال عمرو: قد نشب القتال يا رسول الله تغيبني عنه فقال رسول الله ﷺ: «أما ترضىٰ أن تكون رسول رسول الله»[1].

كان يقال له: ابن ذي النور، وكان مع النبي ﷺ حتىٰ قبض، فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين مجاهداً، فسار إلىٰ اليمامة، وجرح فيها، وقطعت يده، ثم صح.

ومما يذكره المؤرخون مفتخرين بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه بينما عمرو بن الطفيل عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إذ أتي بطعام، فتنحىٰ عنه عمرو، مخافة أن يتأذىٰ بمنظر يده وطعامه بين يديه، فقال أمير المؤمنين: مالك؟ لعلك تنحيت لمكان يدك؟! قال عمرو: أجل، قال: والله لا أذوقه حتىٰ تسوطه بيدك، فو الله ما في القوم أحد بعضه في الجنة غيرك[2] إنها البطولة والشهامة، وإنه الفخر والاعتزاز.

وفي اليرموك شارك عمرو، وحقق الله تعالىٰ فيها رؤيا أبيه الطفيل[3] ـ آنفة الذكر ـ فقتل شهيداً في هذه المعركة الغراء.



(١) «أسد الغابة» (٤: ١١٥).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤: ٢٤٠).

(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧: ١٤).

النحام العدوي[1]

نعيم القرشي

نعيم بن عبد الله بن أسيد، القرشي، العدوي، سمي النحام لأن رسول الله ﷺ قال: «دخلت الجنة، فسمعت نحمة من نعيم فيها»[2]، والنحمة ـ بفتح النون ـ هي السعلة بفتح السين وقيل: النحنحة الممدود آخرها[3].

أسلم نعيم قديماً، بعد عشرة أنفس، وقبل عمر، وكان يكتم إسلامه، أقام بمكة، ومنعه قومه من الهجرة لشرفه، لأنه كان ينفق علىٰ أرامل بني عدي وأيتامهم، فقال له قومه حين أراد الهجرة ـ وتشبثوا به ـ: أقم عندنا، ودن بأي دين شئت، وأقم علىٰ ربعك، وأكفنا ما أنت كاف من أمر أراملنا، فوالله لا يتعرض لك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعاً دونك.

هاجر النحام رضي الله عنه عام خيبر، وقيل: أقام حتىٰ كان قبيل الفتح، فقدم المدينة ومعه أربعون من أهل بيته[4]، فاعتنقه النبي ﷺ وقال له: قومك يا نعيم كانوا لك خيراً من قومي قال: بل قومك خير يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «إن قومي أخرجوني، وأقرك قومك»، فقال نعيم: يا رسول الله، قومك أخرجوك إلىٰ الهجرة، وقومي حبسوني عنها.

إن المتأمل في سيرة هذا الصحابي الجليل ليندهش فإذا عرف أن النبي ﷺ سمع نحمته في الجنة، وهو ما زال في الدنيا ازداد عجباً، كيف سبقت النحمة النحام ولكنه إذا تأمل ودقق النظر زال العجب وبطل الدهش.

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٤: ١٥٠٧)، «أسد الغابة» (٥: ٣٢)، «العقد الثمين» (٧: ٣٤٣)، «الإصابة» (٣: ٥٦٧).

(٢) «الاستيعاب» (٤: ١٥٠٧).

(٣) «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢: ١٣٠).

(٤) «أسد الغابة» (٥: ٣٣).

ومما يدل علىٰ شرفه أيضاً أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لأبيه: اخطب علي بنت نعيم النحام، فقال له أبوه: اخطبها أنت، فإن ردك اعرف[1]، فخطبها عبد الله إلىٰ نعيم، فلم يزوجه إياها، فقال عمر بن الخطاب للنحام: خطب إليك ابن أخيك عبد الله بن عمر فرددته فقال له نعيم: لي ابن أخ مضعوف، لا يزوجه الرجال، فإذا تركت لحمي تربا[2] فمن يذب عنه؟

لقد بعثه رسول الله ﷺ علىٰ صدقات بني كعب من خزاعة[3]، واختلف في وقت استشهاده، قال الطبري[4]: في أجنادين، وقيل: في اليرموك[5] وكلاهما علىٰ الأرض المباركة بالأقصىٰ، فعليه وعلىٰ شهدائنا الأبرار رحمة الله وبركاته.

❑ ❑ ❑

---

(١) كذا في «العقد الثمين» (٧: ٣٤٥)، ولعلها: أعرض، لأن المعنىٰ: لا يردك حينئذ إلا لسبب.

(٢) يقال ترب تربا، إذا افتقر فلزم بالتراب. انظر: لسان العرب (١: ٢٢٨).

(٣) «طبقات ابن سعد» (١: ٢٩٣).

(٤) «تاريخ الأمم والملوك» (٤: ٤٦).

(٥) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٨٧)، «البداية والنهاية» (٧: ١٤).

القرشي السهمي

هشام بن العاص[1]

هشام بن العاص، القرشي السهمي، أخو عمرو بن العاص، روي أن النبي ﷺ قال: «ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام»[2]، وهشام أصغر من أخيه عمرو، وهما فاضلان خيران.

كان هشام قديم الإسلام، إذ أسلم بمكة، وهاجر إلىٰ الحبشة، ثم قدم مكة حين بلغه مهاجر النبي ﷺ، فحبسه أبوه وقومه بمكة، حتىٰ قدم بعد الخندق علىٰ النبي ﷺ في المدينة، وشهد بعد ذلك المشاهد كلها.

وقيل[3]: إنما منعه قومه بمكة من الهجرة إلىٰ المدينة قبل أن يهاجر إليها النبي ﷺ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن أبيه قال: لما اجتمعنا للهجرة اتعدت أنا وعياش ابن أبي ربيعة[4] وهشام بن العاص؛ قلنا: الميعاد بيننا أضاة بني غفار، فمن أصبح منكم لم يأتها فقد حبس فليمض صاحباه، فأصبحت عندها أنا وعياش، وحبس عنا هشام بن العاص، وفتن فافتتن، وقدمنا المدينة، وكنا نقول: والله ما الله بقابل من هؤلاء توبة، قوم عرفوا الله، وآمنوا به، وصدقوا رسوله، ثم رجعوا عن ذلك لبلاء أصابهم من الدنيا، وكانوا يقولون لأنفسهم، فأنزل الله تعالىٰ فيهم: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٥٣-٦٠]، قال عمر: فكتبتها بيدي، ثم بعثت بها إلىٰ هشام، فقال هشام فلما قدمت عليّ خرجت إلىٰ ذي طوىٰ، فجعلت أصعد بها وأصوب لأفهمها، فعرفت

---

(١) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» (١٥٣٩:١)، «العقد الثمين» (٣٧٤:٧)، «أسد الغابة» (٦٣:٥)، «الإصابة» (٦٠٤:٣).

(٢) «الاستيعاب» (١٥٤٠:٤).

(٣) انظر: «أسد الغابة» (٦٣:٥).

(٤) ذو الرمحين، سبقت ترجمته.

أنها أنزلت فينا لما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا، فجلست علىٰ بعيري، فلحقت برسول الله ﷺ.

استشهد هشام رضي الله عنه في أجنادين وقيل: في اليرموك، وقصة استشهاده تلفت النظر، إذ لما انهزمت الروم انتهوا إلىٰ موضع لا يعبره إلا إنسان لضيقه ودقة مسلكه، فجعلت الروم تقاتل عليه، وتقدم هشام فقتلوه، فوقع علىٰ تلك الثلمة فسدها، فلما انتهىٰ المسلمون إليها هابوا أن يوطئوه الخيل، وأمسكوا عن الإقدام عليه فقال أخوه عمرو بن العاص: إن الله قد استشهده، ورفع روحه، وإنما هي جثة، فأوطئوه الخيل، ثم أوطأه هو، ثم تبعه الناس حتىٰ قطعوه، فلما انتهت هزيمة الروم، ورجع المسلمون إلىٰ العسكر كر إليه عمرو، فجعل يجمع لحمه وأعضاءه وعظامه بعدما قطعته الحوافر، ثم حمله في نطع، فواراه.

ورجع عمرو بن العاص إلىٰ مكة، ودخل المسجد للطواف، فمر بمجلس من قريش، فنظروا إليه وتكلموا، فقال عمرو، قد رأيتكم تكلمتم حين رأيتموني، فما قلتم؟ قالوا: تكلمنا فيك وفي أخيك هشام؛ أيكما أفضل؟ قال: أفرغ من طوافي وأخبركم.

فلما انصرف من طوافه أتاهم، فقال: أخبركم عني وعنه، بيننا خصال ثلاث، أمه[1] بنت هشام بن المغيرة وأمي سبية، وكان أحب إلىٰ أبيه مني ـ وتعرفون فراسه الوالد في ولده ـ واستبقنا إلىٰ الله عز وجل فسبقني؛ أمسك علي الستر حتىٰ تطهرت، وتحنطت، ثم أمسكت عليه ففعل مثل ذلك، ثم عرضنا أنفسنا علىٰ الله فقبله وتركني.

لقد صدق عمرو، فإن هشاماً من الصالحين إذ يذكر أهل الشام أنه رأىٰ من بعض المسلمين بعض النكوص، فألقىٰ المغفر عن وجهه، وجعل يتقدم في نحر العدو، ويصيح: يا معشر المسلمين إليّ إليّ أنا هشام بن العاص، أمن الجنة تفرون، حتىٰ قتل، فعليه رحمة الله ورضوانه.

---

(١) اسمها أم حرملة. انظر: «العقد الثمين» (٧: ٣٧٤).

الرهين

النضير بن الحارث العبدري[1]

النضير[2] بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف القرشي العبدري، أبو الحارث، وأبوه الحارث.

اختلف في إسلامه، فقيل: كان من المهاجرين، وقيل: كان من مسلمة الفتح، والظاهر أنه من مسلمة الفتح لأنه أعطاه النبي ﷺ يوم حنين مع المؤلفة قلوبهم ـ كما سيأتي ـ فكيف يعطىٰ مع المؤلفة قلوبهم وهو من المهاجرين.

يعرف النضير بالرهين، ولم يذكر المؤرخون سبباً لذلك، ولعله رهين العقل والحكمة، فإنه كان من حكماء قريش وحلمائهم، كما وصفوه بالحلم والحكمة مقروناً بكونه رهيناً، مما يدل علىٰ أنه مرهون لعقله وحكمته[3].

كان النضير بن الحارث من أعلم الناس، وكان يقول: الحمد لله الذي أكرمنا بالإسلام ومنّ علينا بمحمد، ولم نمت علىٰ ما مات عليه الآباء، لقد كنت أوضع مع قريش في كل وجهة، حتىٰ كان عام الفتح، وخرج إلىٰ حنين، فخرجنا معه، ونحن نريد إن كانت دبرة[4] علىٰ محمد، أن نعين عليه، فلم يمكنا ذلك، فلما صار بالجعرانة، فوالله إني لعلىٰ ما أنا عليه إن شعرت إلا برسول الله ﷺ تلقاني بفرحة، فقال: النضير، قلت: لبيك، قال: هذا خير مما أردت يوم حنين، قال النضير: فأقبلت إليه سريعاً، فقال: قد آن لك أن تبصر ما أنت فيه، فقال النضير: قد أرىٰ، فقال النبي ﷺ: «اللهم زده ثباتاً، قال النضير: فوالذي بعثه بالحق لكأن

---

(١) ترجمته في: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢:١٢٦)، «الاستيعاب» (٤:١٥٢٥)، «العقد الثمين» (٧:٣٧٩)، «أسد الغابة» (٥:٢٠)، «الإصابة» (٣:٥٥٧).

(٢) بضم النون وفتح الضاد، انظر: «أسد الغابة» (٥:٢٠).

(٣) «الاستيعاب» (٤:١٥٢٥)، «أسد الغابة» (٥:٢٠)، «الإصابة» (٣:٥٥٧).

(٤) كذا في «الإصابة»، ولعلها: دائرة، وكلاهما ممكن.

قلبي حجراً ثباتاً في الدين، ونصرة في الحق، ثم رجعت إلىٰ منزلي فلم أشعر إلا برجل من بني الديل يقول: يا أبا الحارث، قد أمر لك رسول الله ﷺ بمائة بعير فاحذني ـ أعطني ـ منها؛ فإن عليّ ديناً، قال: فأردت أن لا آخذها، وقلت: ما هذا منه إلا تألف، لأن النبي ﷺ أعطىٰ المؤلفة قلوبهم يوم حنين[1]، وما أريد أن أرتشي علىٰ الإسلام، ثم قلت: والله ما طلبتها ولا سألتها! فقبضتها، وأعطيت الديلي منها عشراً[2]، ثم خرج إلىٰ رسول الله ﷺ، فجلس معه في مجلسه، وسأله عن فروض الصلاة ومواقيتها، قال: فوالله لقد كان أحب إلي من نفسي، وقال له: يا رسول الله، أي الأعمال أحب إلىٰ الله، قال: «الجهاد والنفقة في سبيل الله»[3].

هاجر النضير إلىٰ المدينة المنورة، ولم يزل بها حتىٰ خرج إلىٰ الشام غازياً، وشهد اليرموك، وقتل بها شهيداً سنة خمس عشرة، ومن عقبة من هو مشهور بالتقوىٰ كمحمد المرتفع، والمرتفع أحد أولاد النضير، وإليه ينسب البئر الذي يقال له: بئر ابن المرتفع بمكة[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) من هنا رجح ابن الأثير أن يكون النضير من مسلمة الفتح، ومنع أن يكون من المهاجرين، إذ كيف يعطىٰ مع المؤلفة قلوبهم وهو من المهاجرين. «أسد الغابة» (٥ : ٢٠).

(٢) «العقد الثمين» (٧ : ٣٧٩)، «الإصابة» (٣ : ٥٥٨).

(٣) «أسد الغابة» (٥ : ٢٠).

(٤) «الإصابة» (٣ : ٥٥٨).

حامل اللواء النبوي

أبو الروم العبدري[1]

أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، أخو مصعب بن عمير، القرشي، العبدري، أمه رومية.

كان اسمه عبد مناف، فتركه لما أسلم[2]، وكان قديم الإسلام بمكة، ومن السابقين إليه، يقال: هاجر إلىٰ الحبشة، وقيل: ليس أبو الروم ممن هاجر إلىٰ أرض الحبشة؛ لأنه لو كان منهم لشهد بدراً مع من شهدها ممن رجع من أرض الحبشة قبل بدر، ويقال: هاجر إلىٰ الحبشة، وقدم المدينة، ولم يقدر له شهودها ـ بدر ـ وممن لم يقدر لهم شهود بدر جماعة، والحاصل أنه ليس متفقاً علىٰ هجرته إلىٰ الحبشة.

شهد رضي الله عنه غزوة أحد، وحمل لواء رسول الله ﷺ في تلك الغزوة؛ إذ حمل اللواء أولاً أخوه مصعب بن عمير، فلما جال المسلمون ثبت به مصعب فأقبل ابن قميئة ـ وهو فارس ـ فضرب يده اليمنىٰ فقطعها، ومصعب يقول: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وأخذ اللواء بيده اليسرىٰ، وحنا عليه، فضرب بيده اليسرىٰ فقطعها، فحنا علىٰ اللواء، وضمه بعضديه إلىٰ صدره، وهو يردد الآية، ثم حمل عليه الثالثة بالرمح فأنفذه، واندق الرمح، ووقع مصعب وسقط اللواء، وابتدره رجلان من بني عبد الدار، سويبط بن سعد بن حرملة، وأبو الروم بن عمير، فأخذه أبو الروم بن عمير، فلم يزل في يده حتىٰ دخل به المدينة حين انصرف المسلمون[3].

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٤ : ١٦٦٠)، «أسد الغابة» (٥ : ١٩٤)، «الإصابة» (٤ : ٧٢).

(٢) «الإصابة» (٤ : ٧٢).

(٣) «الطبقات الكبرىٰ» (٣ : ١٢٠).

نزل أبو الروم في قبر أخيه مصعب بن عمير رضي الله عنه عند دفنه، فسمع رسول الله ﷺ وهو يقول مخاطباً مصعب: لقد رأيتك بمكة وما بها أحد أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم أنت شعث الرأس في بردة[١].

استشهد أبو الروم يوم اليرموك، وقيل: يوم أجنادين، كما ذكر ابن الأثير[٢].

فتأمل هذين الأخوين، كيف اختارهما الله تعالىٰ شهيدين، وأقبلا علىٰ الله تعالىٰ أشعثين أغبرين، بعد رقة، وحسن بشرة، ولين جسم ونعومة من مسحة رومية، فعليهما رحمة الله ورضوانه.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٢: ١٢٢).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٨٤).

العبادلة الثلاثة

استشهد في أجنادين واليرموك ثلة من الصحابة العبادلة، وهم:

أولاً: الهاشمي المطلبي، عبد الله بن الزبير بن عبد المطلب[1]، القرشي، ابن عم النبي ﷺ، وأمه عاتكة بنت أبي وهب. كان عبد الله بطلاً شجاعاً، وكان ممن ثبت يوم حنين رغم شدة البلاء ذلك اليوم، إذ ضاقت عليهم الأرض بما رحبت.

وفي يوم أجنادين برز بطريق من بطارقة الروم، يدعو إلىٰ البراز، فبرز إليه عبد الله بن الزبير، فاختلفا ضربات، ثم قتله عبد الله بن الزبير، ولم يتعرض لسلبه، ثم برز آخر يدعوه إلىٰ البراز، فبرز إليه عبد الله بن الزبير فتشاولا ـ تناول بعضهم بعضاً ـ بالرمحين ساعة، ثم حمل عليه عبد الله فضربه، وهو يقول: خذها وأنا ابن عبد المطلب، فاثبته، ثم ولىٰ الرومي منهزماً، فعزم عليه عمرو بن العاص أن لا يبارز، فقال عبد الله: إني والله ما أجدني أصبر، فلما اختلطت السيوف، وأخذ بعضها بعضاً قاتل عبد الله حتىٰ استشهد، ووجد في ربضة ـ جماعة ـ من الروم، وعشرة حوله قتلىٰ، وهو مقتول بينهم قد اثخنته الجراح.

كان النبي ﷺ يحبه، إذ أتاه مرة، فكساه حلة، وأقعده إلىٰ جنبه وقال: إنه ابن أمي، وكان أبوه بي براً[2].

ثانياً: عبد الله ابن أبي الجهم[3]، القرشي العدوي، أخو عبيد الله بن عمر بن الخطاب لأمه، أم كلثوم بنت جرول الخزاعية، كانت عند أبي الجهم قبل عمر.

أسلم عبد الله عام الفتح مع أبيه، وخرج إلىٰ الشام غازياً، فقتل بأجنادين.

ثالثاً: عبيد الله بن سفيان بن عبد الأسد[4]، القرشي المخزومي، أخو هبار ابن سفيان المذكور مع شهداء مؤتة، ويقال: استشهدا يوم اليرموك[5]، فإن كانا شهيدين في آن واحد فذاك من أعظم المكرمات.

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ٩٠٤)، «العقد الثمين» (٥: ١٤٠)، «الإصابة» (٢: ٣٠٨).

(٢) «الإصابة» (٢: ٣٠٨).

(٣) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ٨٨٢)، «العقد الثمين» (٥: ١٢٤)، «أسد الغابة» (٣: ١٣٥).

(٤) «الاستيعاب» (٣: ١٠٠٨)، «العقد الثمين» (٥: ٣٠٨)، «أسد الغابة» (٣: ٣٣٩).

(٥) «فتوح البلدان» للبلاذري ص١٢١.

ردف النبي

الفضل بن العباس[1]

الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، الهاشمي، المطلبي، ابن عم النبي ﷺ، وأخو ابن عباس رضي الله عنهم.

أبو عبد الله، وقيل: أبو العباس، وهو أسن ولد العباس، وبه كان العباس يكنىٰ.

أمه أم الفضل لبابة الصغرىٰ بنت الحارث الهلالية، أخت ميمونة زوج النبي ﷺ.

شهد مع النبي ﷺ فتح مكة، وحنيناً، وثبت مع النبي ﷺ يومئذ حين انهزم الناس عنه، مما يدل علىٰ شجاعته فضلاً عن وسامته وجماله.

شهد مع النبي ﷺ حجة الوداع، وأردفه خلفه من جمع إلىٰ منىٰ، فكان يقال له: ردف رسول الله، فحدث الفضل أن رسول الله ﷺ لم يزل يلبي حتىٰ رمىٰ جمرة العقبة، وقال له رسول الله ﷺ: «ابن أخي إن هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له».

كان الفضل رضي الله عنه من أجمل الناس وجهاً، وأحسنهم جسماً، تخاف فتنه علىٰ النساء[2]، وكان يقال: من أراد الجمال والفقه والسخاء فليأت دار العباس؛ الجمال للفضل، والفقه لعبد الله، والسخاء لعبيد الله[3].

روىٰ الفضل عن النبي ﷺ، وروىٰ عنه أخوه عبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وربيعة بن الحارث وعباس بن عبيد الله بن العباس.

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤:٥٤)، «الاستيعاب» (٣:١٢٦٩)، «العقد الثمين» (٧:١٠)، «أسد الغابة» (٤:١٨٣)، «الإصابة» (٣:٢٠٨)، «تهذيب التهذيب» (٨:٢٨٠).

(٢) «طبقات ابن سعد» (٤:٥٥).

(٣) «الاستيعاب» (٧:١٠).

كان الفضل بن عباس فيمن غسّل النبي ﷺ، وكان يصب الماء على علي رضي الله عنه حين غسّل النبي ﷺ، ثم تولىٰ دفنه في مثواه الشريف.

قال ابن سعد[1]: خرج بعد وفاة النبي ﷺ إلىٰ الشام مجاهداً فمات بناحية الأردن في طاعون عمواس السنة الثامنة عشرة من الهجرة وذلك في خلافة عمر ابن الخطاب.

وذكره ابن الأثير[2] فيمن استهد يوم اليرموك، وقيل: يوم أجنادين.

لم يترك الفضل ولداً إلا أم كلثوم، تزوجها الحسن بن علي ابن أبي طالب ثم فارقها، فتزوجها أبو موسىٰ الأشعري[3].

لقد جمع الفضل في شخصه الكريم الكثير من الخصال والمآثر، فهو الشجاع، الجميل، الشهيد، ردف النبي ﷺ، الهاشمي، المبجل، المجاهد المحدث، فعليه رحمة الله.

❑ ❑ ❑

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٤: ٥٥).
(٢) «الكامل في التاريخ» (٢: ٢٨٧).
(٣) «العقد الثمين» (٧: ١١).

أول من أهرق دماً من مشرك

طليب بن عمير[1]

طليب بن عمير بن وهب ابن أبي كبير، القرشي، العبدري، ويقال العبدي، أمه أروىٰ بنت عبد المطلب، عمة النبي ﷺ.

يكنىٰ طليب أبا عدي، وكان من السابقين إلىٰ الإسلام؛ إذ أسلم ورسول الله ﷺ في دار الأرقم، ثم دخل فخرج علىٰ أمه أروىٰ بنت عبد المطلب، فقال: تبعت محمداً، وأسلمت لله رب العالمين جل ذكره، فقالت أمه: إن أحق من وازرت ومن عاضدت ابن خالك، والله لو كنا نقدر علىٰ ما يقدر عليه الرجال لتبعناه، ولذببنا عنه، قال: فقلت: يا أماه، وما يمنعك أن تسلمي، وتتبعيه، فقد أسلم أخوك حمزة، فقالت: أنظر ما يصنع أخواتي، ثم أكون إحداهن، قال: قلت: أسألك بالله إلا أتيته، فسلمت عليه، وصدقته، وشهدت أن لا إله إلا الله، قالت: فإني أشهد أن لا إله لا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وكانت بعد تعضد النبي ﷺ بلسانها، وتحض ابنها علىٰ نصرته، وبالقيام بأمره[2].

هاجر طليب بن عمير إلىٰ أرض الحبشة، ثم شهد بدراً، كما قال ابن إسحاق والواقدي، وكان من خيار الصحابة.

وهو أول من دمى مشركاً في رسول الله ﷺ؛ إذ سمع مشركاً[3] يسب الرسول ﷺ، فأخذ لحىٰ جمل[4]، فضربه به فشجه، فقيل لأمه: ألا ترين ما صنع ابنك، وأُخبرت الخبر، فقالت:

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ٧٧٢)، «العقد الثمين» (٥: ٧٣)، «أسد الغابة» (٣: ٦٥)، الإصابة (٢: ٢٣٣).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٢٣٩).

(٣) يقال: إن الذي ضربه طليب هو عوف السهمي. انظر: «العقد الثمين» (٥: ٧٤).

(٤) اللحىٰ: العظم الذي يكون في الأسنان داخل الفم من الإنسان والدابة. «اللسان» (١٥: ٢٤٣).

إن طليباً نصر ابن خاله ... آساه في ذي دمه وماله[1]

ولما حصر المشركون المسلمين في الشعب، قام طليب إلىٰ أبي لهب، فشجه، فأخذ المشركون طليباً فأوثقوه، فشكاه أبو لهب إلىٰ أمه، وهي أخت أبي لهب، فقالت: خير أيامه أن ينصر محمداً[2].

استشهد طليب رضي الله عنه يوم اليرموك، وقيل: قتل بأجنادين شهيداً، فعليه رحمة الله ورضوانه، وكذلك فليكن الأبطال الشجعان وعلىٰ هذا فليحرص الشرفاء الأخيار.

❑ ❑ ❑

---

(١) «العقد الثمين» (٥: ٧٤).

(٢) «الإصابة» (٢: ٢٣٣).

الشاعر الفهري

ضرار بن الخطاب[1]

ضرار بن الخطاب بن مرداس، القرشي، الفهري، أبوه رئيس بني فهر في زمانه، وكان يأخذ المرباع[2] لقومه.

كان ضرار من فرسان قريش، وشجعانهم، وكان يوم الفجار علىٰ بني محارب بن فهر، وقاتل المسلمين قبل إسلامه أشد القتال في الوقائع التي حضرها، فقد اختلف الأوس والخزرج فيمن كان أشجع يوم أحد، فمر بهم ضرار ابن الخطاب، وكان شهدها قبل الإسلام، فقالوا: هذا شهدها، وهو عالم بها، فسألوه عن ذلك، فقال: لا أدري؛ ما أوسكم من خزرجكم. لكني زوجت منكم يوم أُحد أحد عشر رجلاً من الحور العين، وقال ضرار رضي الله عنه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: نحن كنا خيراً لقريش منكم؛ نحن أدخلناهم الجنة، وأنتم أدخلتموهم النار؛ يعني: أنه قتل المسلمين فدخلوا الجنة، وأن المسلمين قتلوا الكفار، فأدخلوهم النار.

إنه الفارس الشجاع، يقول فيه أصحاب التراجم: هو أحد الأربعة الذين ظفروا الخندق يوم الأحزاب، أي: الذين حاولوا اقتحامه بادي الأمر، ولا يقدم علىٰ مثل هذا الفعل إلا الأبطال الشجعان، ولكنه لما كان قبل الإسلام كان جفاء لم يمكث في الأرض، ولا يذكره التاريخ إلا في معرض الذم.

اشتهر ضرار بأنه من شعراء قريش المجودين، حتىٰ قالوا: إنه فارس قريش وشاعرهم، ولم يكن في قريش أشعر منه، لكنهم اختلفوا فيه وفي ابن الزبعرى

---

(١) ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤: ٣٤٠)، «الاستيعاب» (٢: ٧٤٨)، «العقد الثمين» (٥: ٥٠)، «أسد الغابة» (٣: ٤٠)، «الإصابة» (٢: ٢٠٩).

(٢) يقال: فلان علىٰ مرباع قومه؛ أي: سيدهم، وهو الذي يتولىٰ أمرهم وشأنهم، والمرباع ما يأخذه الرئيس، وهو ربع الغنيمة. انظر: «لسان العرب» (٨: ١٠١) وما بعدها.

أيهما أشعر، فقال ابن سلام: بمكة شعراء، فأبرعهم شعراً عبد الله بن الزبعرىٰ، وقال الزبير بن بكار في ترجمة ابن الخطاب: فأما شعره وشعر ضرار، فضرار أشعر، وأقل سقطاً[1].

أسلم ضرار يوم الفتح، ومن شعره في ذلك اليوم[2]:

يـا نبـيّ الهـدىٰ إليـك لجـا   حي قريش وأنت خير لجاء
حيـن ضـاقـت عليهـم سعـة الأرض   وعـاداهـم إلـه السمـاء
فالتقت حلقتا البطان علىٰ القوم   ونـودوا بـالصيلـم الصلعـاء[3]
إن سعداً يريد قاصمة الظهر   بـأهـل الحجـون والبطحـاء

يريد بذلك سعد بن عبادة، حيث قال يوم الفتح: اليوم تستحل الحرمة[4]، فأرسل رسول الله ﷺ إلىٰ سعد بن عبادة، فنزع اللواء من يده، فجعله بيد قيس ابنه، وأبىٰ سعد أن يسلم اللواء إلا بأمارة من رسول الله ﷺ فأرسل إليه رسول الله ﷺ بعمامته فعرفها سعد فدفع اللواء إلىٰ ابنه قيس، ورأىٰ رسول الله أن اللواء لم يخرج عنه، إذ صار إلىٰ ابنه، ولكن نزع اللواء كان بسبب شعر ابن الخطاب وبيانه، وفصاحة لسانه.

ذكر ابن الأثير[5] أن ضراراً قتل يوم اليرموك، وقيل: في أجنادين، والله تعالىٰ أعلم.



---

(١) «العقد الثمين» (٥١:٥).

(٢) قصيدة طويلة، انظر طرفاً منها في الاستيعاب (٧٤٨:٢)، وانظر تمامها في ترجمة سعد بن عبادة من الكتاب نفسه، وانظر «العقد الثمين» (٥١:٥).

(٣) الصلعاء: الداهية والأمر الشديد، والصيلم: السنان المجلو. «لسان العرب» (٢٠٦:٨).

(٤) «أسد الغابة» (٤٠:٣).

(٥) «الكامل في التاريخ» (٢٨٧:٢).

السهميون الثلاثة

تميم بن الحارث[1]

سعيد بن الحارث[2]

حجاج بن الحارث[3]

الحارث بن قيس السهمي هو أحد المستهزئين بالنبي ﷺ، ولكن الله عز وجل أخرج منه ستة رجال هم: سعيد بن الحارث، وحجاج بن الحارث، وأبو قيس، وتميم، وعبد الله الذي قتل يوم الطائف شهيداً، والسائب بن الحارث، الذي جرح يوم الطائف، واستشهد يوم فحل، وصدق الله العظيم: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [آل عمران: ٢٧].

لقد استشهد علىٰ أرض الأردن من هؤلاء الأجلاء ثلاثة فضلاء، هم:

١ ـ تميم بن الحارث بن قيس، القرشي السهمي، كان من مهاجرة الحبشة وقتل يوم أجنادين.

٢ ـ سعيد بن الحارث بن قيس بن عدي، القرشي، السهمي، هاجر مع إخوته إلىٰ الحبشة، نقل عن ابن إسحاق القول بأنه قتل يوم اليرموك، وقيل: بل قتل بأجنادين، والاختلاف عند المؤرخين كثير فمن قتل باليرموك وأجنادين والصفر، وسبب الاختلاف قرب بعضها من بعض وكلها بالشام[4].

---

(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (١: ١٩٢)، «أسد الغابة» (١: ٢١٦)، «العقد الثمين» (٣: ٣٨٧)، «الإصابة» (١: ١٨٤)، «فتوح البلدان» (١٢١).

(٢) ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٦١٣)، «أسد الغابة» (٢: ٣٠٤)، «العقد الثمين» (٤: ٥٥٣)، «الإصابة» (٢: ٤٤).

(٣) ترجمته في: «الاستيعاب» (١: ٣٢٥)، «أسد الغابة» (١: ٣٨٠)، «العقد الثمين» (٤: ٥٣).

(٤) «العقد الثمين» (٤: ٥٥٣).

٣ ـ حجاج بن الحارث، هاجر مع إخوته إلىٰ الحبشة، والتحق بالمدينة المنورة بعد غزوة أُحد، واستشهد باليرموك، وقيل: بأجنادين.

إنهم أعمام عبد الله بن حذافة السهمي، المشهور زمن أمير المؤمنين الفاروق بشجاعته وثباته أمام الروم، ولم يستسلم للتهديد والوعيد، وقصته مشهورة معروفة.

وهم من عائلة عريقة، اتصفت بالجهاد والاستشهاد والبطولات، فهما من أهل الهجرة الأولىٰ، والثلة السابقة المقربة.

لقد كان هؤلاء الشجعان بشجاعتهم وبطولاتهم تصديقاً لرجاء النبي ﷺ لما راودته الملائكة لتطبق علىٰ أعدائه الأخشبين ـ الجبلين، فقال: «لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله» وهكذا كان، فببركة الإخلاص انتشر الدين، وكثرت جيوش المسلمين، وعلت راية التوحيد فوق هامات الأبطال في كل الأصقاع والبقاع.

أما الحارث بن قيس الذي يقال له ابن الغيطلة ـ وهي أمه ـ فكان من المستهزئين وقد أتي جبريل رسول الله ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت فمرا بهم واحداً تلو الآخر كلما مرا علىٰ واحد سأل جبريل رسول الله ﷺ قائلاً: كيف تجد هذا؟ فيقول: بئس عبد الله، فيتولاه جبريل حيثما أومأ أصابه، ولما مرّ بالحارث قال جبريل كيف تجد هذا؟ قال: عبد سوء، فأومأ إلىٰ رأسه، وقال: قد كفيت، فانتفخ رأسه فمات، وقيل: أصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتىٰ انقد بطنه[1]، وهكذا فعل بهم جميعاً حتىٰ أتىٰ علىٰ آخرهم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٩٥-٩٦].

فسبحان من أخرج من صلب الميت الأحياء الشهداء.

❑ ❑ ❑

(١) «زاد المسير في علم التفسير» ابن الجوزي (٤: ٤٢١).

عريف دوس

جندب بن عمرو(١)

جندب بن عمرو الدوسي، الصحابي الجليل، حليف بني أمية، كان أبوه من حكام العرب، عن الشعبي قال: كنا عند ابن عباس وهو في ضفة زمزم يفتي الناس إذ قام إليه أعرابي فقال: أفتيتهم فأفتنا، قال: هات، قال: ما معنىٰ قول الشاعر:

لذي الحكم قبل اليوم ما تقرع العصا وما علم الإنسان إلا ليعلما

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: ذاك عمرو بن حممة الدوسي؛ قضىٰ بين العرب ثلاثمائة سنة، فكبر، فألزموه السابع أو التاسع من ولده فكان إذا غفل قرع له العصا، فلما حضره الموت اجتمع إليه قومه فأوصاهم بوصية حسنة فيها حكم(٢).

كان جندب بن عمرو بن حممة يقول في الجاهلية: إن للخلق لخالقاً، لكني لا أدري من هو، فلما سمع بخبر النبي ﷺ خرج معه خمسة وسبعون رجلاً من قومه فأسلم وأسلموا، قال أبو هريرة: فكان جندب يقدمهم رجلاً رجلاً.

ويذكر أنه لما قدم علىٰ النبي ﷺ وحسن إسلامه جعله النبي ﷺ عريف قومه(٣).

ولما أراد الالتحاق بالشام خلّف ابنته أم أبان عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقال: إن وجدت لها كفؤاً فزوجها، ولو بشراك نعلة، وإلا فأمسكها حتىٰ تلحقها بدار قومها، فكانت عند عمر تدعوه أباها، إلىٰ أن زوجها من عثمان فولدت له عمرو بن عثمان في عهد عمر(٤).

---

(١) ترجمته في: «تهذيب تاريخ دمشق» (٣:٤١٥)، «أسد الغابة» (١:٣٠٥)، «الإصابة» (١:٢٤٩).

(٢) «الإصابة» (١:٢٤٩).

(٣) «تهذيب تاريخ دمشق» (٣:٤١٥).

(٤) «الإصابة» (١:٢٤٩).

والتحق بالشام، وشهد يوم اليرموك، وكان أميراً علىٰ بعض الكراديس، فرفع الراية، وقال: يا معشر الأزد، إنه لا ينجو من الإثم والقتل والعدو إلا من قاتل، ألا وإن المقتول لشهيد، والخائب من فر، ثم أخذ يقول: لا يمنع الراية إلا الأبطال، فقاتل حتىٰ قتل شهيداً[1].

ويقال استشهد بأجنادين[2]، يذكر جندب مع أخيه الطفيل بن عمرو الدوسي الذي استشهد في اليرموك وهو المعروف بذي النور، فعليهما رحمة الله تعالىٰ ورضوانه.

إنها عائلة عريقة حكماً وحكمة، وصبراً وشجاعة، وقوة وقيادة، وإقداماً وشهادة، فأكرم بها من عائلة، وأكرم بجندب من شهيد.

❑ ❑ ❑

---

(١) «تهذيب تاريخ دمشق» (٣: ٤١٥).

(٢) انظر: «فتوح البلدان» للبلاذري ١٢١، و«أسد الغابة» (١: ٣٠٥).

فحول فِحل

فحل ـ بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره لام ـ اسم موضع[1] مشهور في الأردن، كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم، ويوم فحل مذكور في الفتوح، في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي السنة الثالثة عشرة، واختلف فيها، هل كانت قبل فتح دمشق أم بعده، وعزىٰ ابن جرير ذلك الاختلاف إلىٰ قرب تلك الأحداث بعضها من بعض[2]، والظاهر أنها بعد فتح دمشق؛ إذ بعد الهزائم التي مني بها الروم أقبل هرقل إلىٰ بيت المقدس، محتفلاً بتخليص الصليب الذي استرده قبل ذلك، واستنصر الروم وأهل الجزيرة وبعث عليهم رجالاً من خاصته وثقاته فلقوا المسلمين بفحل، وفجر الروم الماء حول فحل، فمحلت الأرض.

وكان علىٰ المسلمين بفحل شرحبيل بن حسنة، فبعث خالداً علىٰ المقدمة، وأبا عبيدة وعمراً علىٰ مجنبته، وعلىٰ الخيل ضرار بن الأزور، وعلىٰ الرحل عياض، وكرهوا أن يعمدوا لهرقل وخلفه ثمانون ألفاً، فكتبوا إلىٰ عمر بالخبر، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام حتىٰ يرجع جواب كتابهم، لما رأوا من صعوبة الإقدام علىٰ عدوهم في مكانهم، لما دونهم من الأوحال، وكانت العرب تسمي تلك الغزاة ذات الردغة ـ والردغة: الوحل ـ وكان المسلمون قد أصابوا من ريف الأردن في فحل أفضل مما فيه المشركون، مادتهم متواصلة، وخصبهم رغد.

وأما الروم فكان عليهم سقلار بن مخراق، فأتىٰ المسلمين علىٰ غرة، والمسلمون حذرون، لا يأمنون مجيئهم، وهم علىٰ حذر، إذ كان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا علىٰ تعبية، فلما هجموا علىٰ المسلمين غافصوهم، فلم يناظروهم، واقتتلوا بفحل كاشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم، ويومهم إلىٰ الليل، فأظلم الليل عليهم وقد حاروا، فانهزموا، وهم حيارىٰ، وقد أصيب رئيسهم

---

(١) «معجم البلدان» (٤ : ٢٣٧).

(٢) «تاريخ الأمم والملوك» الطبري (٤ : ٥٩).

سقلار، وأصيب الذي يليه منهم نسطورس، وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهنأه، وركبوهم فوجدوهم حيارىٰ لا يعرفون مأخذهم، فأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلىٰ الوحل فركبوه، ولحق أوائل المسلمين بهم وقد وحلوا فركبوهم، وما يمنعون يد لامس، فوخزوهم بالرماح فأصيب الثمانون ألفاً، ولم يفلت منهم إلا الشريد وكان الله سبحانه وتعالىٰ يصنع للمسلمين وهم كارهون، كرهوا الوحل فكانت عوناً لهم علىٰ عدوهم.

ثم شار شرحبيل إلىٰ بيسان فحاصروهم أياماً، ثم خرجوا عليهم فقاتلوهم، وصالحوا بقية أهلها، وبلغ أهل طبرية الخبر فصالحوهم وتفرقت الامداد في مدائن الأردن وقراهم من بيت رأس وجرش وغيرهما، وغنموا مالاً جزيلاً، وكتب إلىٰ عمر بن الخطاب بالفتح والنصر المبين، والحمد لله رب العالمين[(١)].

لقد تغنىٰ الشعراء بفحل، قال القعقاع بن عمرو التميمي[(٢)]:

كم من أب لي قد ورثت فعاله	جم المكارم بحره تيار
وغداة فحل قد رأوني معلماً	والخيل تنحط والبلا أطوار
وما زالت الخيل العراب تدوسهم	في حوم فحل والهبا موار
حتىٰ رمين سراتهم عن أسرهم	في روعة ما بعدها استمرار

إنها إذن معركة عظيمة، ونصر مؤزر أكرم الله عز وجل به شرحبيل بن حسنة ومن معه من الصحابة بالتأيد والنصر، وكان من شهدائها.

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر تفصيل هذه المعركة في: «تاريخ الأمم والملوك» (٤:٥٩)، «تهذيب تاريخ دمشق» (١:١٤٥)، «فتوح البلدان» للبلاذري، ١٢٢، «الكامل في التاريخ» ص٢٩٤، «البداية والنهاية» (٧:٢٥).

(٢) انظر: قصيدته في «معجم البلدان» (٢:٢٣٧).

الشقيقان السهميان

السائب بن الحارث(١)

والحارث بن الحارث(٢)

كان الحارث بن قيس(٣) أحد أشراف قريش في الجاهلية، وكانت إليه الحكومة والأموال التي يسمونها لآلهتهم، ثم أسلم الحارث، وهاجر إلىٰ أرض الحبشة مع بنيه الحارث وبشر ومعمر والسائب وعبد الله، وذكر ابن سعد في الطبقات(٤) أن أمهم هي أم الحجاج الكنانية.

إنها عائلة كريمة، أنقذها الله تعالىٰ من خدمة الأصنام وتعظيمها إلىٰ تعظيم الله سبحانه وتعالىٰ وخدمته والتشرف بعبادته، فكانت نموذج الأسر المجاهدة الصابرة، المثابرة، المهاجرة في سبيل الله، فراراً بدينها وتأييداً لنبيها.

وتبقىٰ هذه الأسرة السعيدة مصابرة مجاهدة حتىٰ انقرضت(٥)، ولعل ذلك لكثرة الشهداء الأبرار فإن كان ذلك كذلك فهو التحول والانتقال من الدنيا الفانية إلىٰ الحياة الباقية لا غير، وشتان بن الحياتين، حياة الشهيد المرزوق في الجنة، المتنعم بالسعد، وحياة من يعيش في كبد.

---

(١) ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٤:١٩٥)، «الاستيعاب» (٢:٥٦٩)، «أسد الغابة» (٢:٢٥٠)، «العقد الثمين» (٤:٤٩٦)، «الإصابة» (٢:٨).

(٢) ترجمته في: «الاستيعاب» (١:٢٨٣)، «أسد الغابة» (١:٣٢١)، «العقد الثمين» (٤:٤)، «تهذيب تاريخ دمشق» (٣:٤٣٩)، «الإصابة» (١:٢٧٦).

(٣) الحارث بن قيس اسم تكرر في كتب الأعلام وممن تسمىٰ به الصحابي الذي نحن بصدد الحديث عنه، وممن تسمىٰ به أيضاً ابن الغيطلة: أحد المستهزئين وقد سبق الحديث عن أبنائه الشهداء الثلاثة في اليرموك.

(٤) «الطبقات الكبرىٰ» (٤:١٩٥).

(٥) «العقد الثمين» (٤:٤٩٧).

لقد اختار الله سبحانه وتعالىٰ منهما شهيدين في فحل:

أولهما: السائب بن الحارث رضي الله عنه أحد السابقين، والمهاجرين إلىٰ أرض الحبشة، شارك يوم الطائف مع النبي ﷺ، وذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار(١).

قال ابن حجر(٢): ذكره ابن إسحاق فيمن قتل يوم الطائف، وكذا ذكره الواقدي، وزاد: وقتل معه أخوه عبد الله، لكن الذي ذكره موسىٰ بن عقبة عن ابن شهاب أنه جرح، وأنه عاش بعد ذلك إلىٰ أن استشهد بالأردن يوم فحل في أول خلافة عمر سنة ثلاث عشرة، وكذا ذكره ابن سعد، وزاد وأمه أم الحجاج كنانية.

ثانيهما: الحارث بن الحارث، شقيق السائب، ومهاجر معه إلىٰ الحبشة، شارك يوم أجنادين، وقيل: استشهد فيها وقيل: في اليرموك، وقيل: استشهد في فحل، ذكره ابن عساكر(٣).

تنويه: هذا ما عثرت عليه من شهداء فحل، فإن تسنىٰ لي معرفة غير ما ذكرت أثبته بإذن الله.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» (٤: ١٩٥).

(٢) «الإصابة» (٢: ٨).

(٣) انظر: «تهذيب تاريخ دمشق» (٣: ٤٣٩).

من شهداء الآخرة

في طاعون عمواس[1]

بعد ثلاث سنوات من استيلاء المسلمين علىٰ القدس في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، وفي السنة الثامنة عشرة بالتحديد، أصاب الناس مجاعة شديدة، وجدب وقحط، ولزبة ظهرت في الأقاليم، وسمي ذلك العام عام الرمادة، وسبب تلك التسمية أن الريح كانت تسفي تراباً كالرمادة، واشتد الجوع، حتىٰ جعلت الوحش تأوي إلىٰ الإنس، وحتىٰ جعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها واستمر الحال تسعة أشهر.

وأقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يذوق سمناً ولا سميناً حتىٰ يحيا الناس، وكتب إلىٰ أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها، وخرج يستسقي وخرج معه العباس ماشياً، فخطب وأوجز، وصلىٰ ثم جثا لركبتيه وقال: اللهم عجزت عنا أنصارنا، وعجز عنا حولنا وقوتنا، وعجزت عنا أنفسنا، ولا حول ولا قوة إلا بك، اللهم فاسقنا، وأحي البلاد، وأخذ بيد العباس بن عبد المطلب، وإن دموع العباس لتتحادر علىٰ لحيته، فقال عمر رضي الله عنه: اللهم إنا نتقرب إليك بعم نبيك، وبقية آبائه، وأكبر رجاله، فإنك تقول وقولك الحق: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢]، فحفظتهما بصلاح آبائهما، فاحفظ اللهم نبيك ﷺ في عمه، فقد دلونا به إليك مستشفعين مستغفرين، ثم قال عمر: اللهم إياك نعبد وإياك نستعين، اللهم اغفر لنا، وارحمنا، وارض عنا، ثم أقبل علىٰ الناس فقال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً، ثم انصرف، وانهمرت عليهم السماء، فما بلغوا المنزل راجعين حتىٰ خاضوا الغدران ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر: «تاريخ الأمم والملوك» (٤: ٢٢٢)، «الكامل في التاريخ» (٢: ٣٨٨)، «فتوح البلدان» للبلاذري ١٤٥، تاريخ ابن خلدون (٢: ١١٤).

وفي تلك السنة بدأ مرض الطاعون في قرية قريبة من القدس تسمىٰ عمواس - بفتح أو كسر فسكون - وانتشر في بلاد الشام، وامتد إلىٰ العراق، وقيل[1]: هو من قولهم زمن الطاعون: عم وآسىٰ؛ أي: اتسع واحزن، وذلك لكثرة من مات فيه.

وبلغ ذلك الخبر عمر بن الخطاب، فكتب إلىٰ أبي عبيدة ليستخرجه، وفيه قال عمر: أما بعد؛ فقد عرضت لي إليك حاجة، أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتىٰ تقبل إلي، فعرف أبو عبيدة ما أراد، فكتب إليه: يا أمير المؤمنين قد عرفت حاجتك إلي، وإني في جند من المسلمين، لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتىٰ يقضي الله في وفيهم أمره وقضاءه، فحللني من عزيمتك، فلما قرأ عمر بن الخطاب الكتاب بكىٰ فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمات أبو عبيدة؟ فقال: لا، وكأن قد.

وقام أبو عبيدة في الناس خطيباً، فقال: أيها الناس إن هذا الوجع رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، وموت الصالحين فيكم، ومثل هذا القول قال معاذ بن جبل إمام العلماء رضي الله عنه، وذلك أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ستهاجرون إلىٰ الشام، فيفتح لكم، ويكون فيه داء كالدمل، أو كالوخزة، يأخذ بمراق الرجل، فيستشهد الله به أنفسكم ويزكي بها أعمالكم»[2].

روىٰ الإمام البخاري[3] عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج إلىٰ الشام، حتىٰ إذا كان بسرغ[4] لقيه أمراء الأجناد - أبو عبيدة وأصحابه - فأخبروه أن الوباء وقع بأرض الشام، قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد

---

(١) نقله الذهبي عن الأصمعي، انظر: «سير النبلاء» (١: ٢٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥: ٢٤١)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٢: ٣١١).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» كتاب الطب حديث رقم (٥٧٢٩).

(٤) فتح السين وسكون الراء، مدينة افتتحها أبو عبيدة، قال ياقوت الحموي في معجم البلدان (٣: ٢١١): هي أول الحجاز، ومن منازل حاج الشام، وقال مالك بن أنس: هي قرية بوادي تبوك.

وقع في الشام، فاختلفوا: فقال بعضهم: قد خرجنا لأمر، ولا نرىٰ أن نرجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ، ولا نرىٰ أن نقدمهم علىٰ هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرىٰ أن ترجع بالناس ولا تقدمهم علىٰ هذا الوباء، فنادىٰ عمر في الناس: إني مصبح علىٰ ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة بن الجراح، أفراراً من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلىٰ قدر الله، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت وادياً له عدوتان[1]: إحداهما خصيبة، والأخرىٰ جدبة، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمٰن بن عوف ـ وكان متغيباً في بعض حاجته ـ فقال: إن عندي في هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف، إن الصحابة الكرام كانوا يرون الطاعون شهادة لأحاديث أشهرها:

١ ـ قول رسول الله ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»[2] وقول النبي ﷺ: «المبطون شهيد، والمطعون شهيد»[3].

٢ ـ أنه دعوة النبي ﷺ، ذلك حين جاءه جبريل فقال: فناء أمتك بالطعن أو الطاعون، فقال رسول الله ﷺ فبالطاعون[4].

٣ ـ حديث: إن الطاعون كان عذاباً يبعثه الله علىٰ من يشاء فجعله رحمة للمؤمنين

---

(١) بضم العين وسكون الدال: تثنية عدوة، وهو المكان المرتفع في الوادي، وهو شاطئه. انظر: «فتح الباري» (١٠: ١٨٥).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، حديث رقم (٥٧٣٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، حديث رقم (٥٧٣٣).

(٤) ذكره الإمام النووي في شرح أحاديث باب الطاعون من كتاب صحيح مسلم.

فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد[1].

٤ ـ دعاء النبي ﷺ: «اللهم اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون».

ومن ثم ثبت الصحابة الكرام في أرض الشام يتحدون الطاعون، وتوفي من الناس في الطاعون خمسة وعشرون ألفاً[2]، وكان منهم الكثير من أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، ودفن بعضهم في الأرض المباركة، فتشرفت بهم، وما زالت تسعد بعطرهم، ويشتاق الناس إلىٰ مثوىٰ كل صحابي عرف بينهم.

وفي العجالة الآتية استعرض ـ بإذن الله ـ سيرة من ذكرت كتب التاريخ أو اشتهر بين الناس.



---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١ : ١٨٢).

(٢) «الكامل في التاريخ» (٢ : ٣٩٢).

أمين الأمة

أبو عبيدة رضي الله عنه[1]

أمين الأمة أبو عبيدة، عامر بن الجراح، القرشي المكي، أحد السابقين الأولين المقربين، وأحد العشرة المبشرين، مناقبة شهيرة جمة، روىٰ أحاديث معدودة، وغزا مع النبي ﷺ غزوات مشهودة، كان أولها غزوة بدر الكبرىٰ، التي قتل فيها أباه، وأبلىٰ يوم أحد بلاء حسناً، ونزع يومئذ الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر في وجنة رسول الله ﷺ من ضربة أصابته فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما، حتىٰ قيل: ما رؤي هتم قط أحسن من هتم أبي عبيدة[2]، فرضي الله عنك يا صاحب الهتم الأغر، يا من جمعت القرآن في صدرك، وزينت بالحسن خلقك، ولينت شكيمتك، وزدت في حلمك وصبرك، وتجملت بتواضعك، وفُقت الأقران بأمانتك حتىٰ سماك رسول الله ﷺ أمين الأمة، إذ قال: «إن لكل أمة أميناً وأمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[3]، لقد وزنك رسول الله ﷺ بميزان النبوة فوجدك متميزاً وبحسن الخلق متسماً، إذ قال: «ما منكم من أحد إلا لو شئت لأخذت عليه بعض خلقه إلا أبا عبيدة»[4]، ومن ثم ألفك الصحابة الكرام، وأحبوك، وسعدوا بك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجلسائه: تمنوا، فتمنوا، فقال عمر: لكني أتمنىٰ بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح[5]، ولعل ذلك راجع إلىٰ قصة وسبب، إذ لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرض الشام قال لأبي عبيدة: اذهب بنا إلىٰ منزلك، قال: وما تصنع عندي؟ ما

---

(١) انظر ترجمته في: «التاريخ الكبير» (٦: ٤٤٤)، «الاستيعاب» (٥: ٢٩٣)، «تهذيب تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ١٦٠)، «أسد الغابة» (٣: ١٢٨)، «الإصابة» (٥: ٢٨٥).

(٢) «الاستيعاب» (٥: ٢٩٢)، «السيرة النبوية» لابن كثير (٣: ٥٨)، والهتم كسر الثنايا من أصولها

(٣) البخاري (٣٧٤٢)، «فضائل القرآن» مسلم (٢٤١٩)، الترمذي (٣٧٥٩)، ابن ماجه (١٣٥).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٢٦٦).

(٥) رواه البخاري في «التاريخ الصغير» (١: ٥٤).

تريد إلا أن تُعصِّر عينيك علي، قال: فدخل، فلم ير شيئاً، قال: أين متاعك، لا أرىٰ إلا لبداً، وصحفة، وشناً، وأنت أمير، أعندك طعام؟ فقام أبو عبيدة إلىٰ جونة فأخذ منها كسيرات، فبكىٰ عمر، فقال له أبو عبيدة: قد قلت لك إنك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين، يكفيك منها ما يبلغك المقيل، قال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

وقال الذهبي في السير[1]: هذا والله هو الزهد الخالص، لا زهد من كان فقيراً معدماً، لقد صدق الذهبي، كيف لا وهو الذي كثيراً ما يسير بين العسكر فيقول: إلا رب مبيض لثيابه مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين، بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات[2].

وأما سبب دخول أمين الأمة أرض الأردن فكان للجهاد في سبيل الله وقصد الشهادة، ولما حل بالشام طاعون عمواس سنة ثماني عشرة للهجرة أنعم الله علىٰ أبي عبيدة ليكون شهيد الآخرة، فعوضه عن الهدف المنشود، وهي الشهادة الدنيوية والأخروية والتي لا تكون إلا أثناء القتال.

ولما خرجت بثرة الطاعون بيده، جعل ينظر إليها، وأقسم بالله ما يحب أن له مكانها حمر النعم، فقيل له، إنها ليست بشيء فقال: أرجو أن يبارك الله فيها، فإنه إذا بارك في القليل كان كثيراً، فكان كذلك، ورثاه معاذ بن جبل إمام العلماء فقال: إنكم فجعتم برجل ما أزعم والله إني رأيت من عباد الله قط أقل حقداً، ولا أبر صدراً، ولا أبعد غائلة، ولا أشد حياء ولا أنصح للعامة منه فترحموا عليه[3]. اللهم ارحمه وأدخله فسيح جنانك.

❑ ❑ ❑

---

(١) «سير النبلاء» (١: ١٧).

(٢) «حلية الأولياء» (١: ١٠٢).

(٣) «الإصابة» (٤: ١٢).

المجاهد الشبل

عبد الرحمٰن بن معاذ بن جبل[1]

عبد الرحمٰن بن معاذ بن جبل رضي الله عنهما، الشبل المجاهد، ابن العالم المبجل، الذي كان يكنىٰ به، شاب، مجاهد، صغير السن، إذ لم يزد سن والده عن أربع وثلاثين سنة فما بالك بسنه، يذكر دائماً مقروناً بأبيه، ولكنه مشتهر بالفضل كأبيه رضي الله عنهما.

قال ابن الأثير[2]: «لا شك أن له صحبة مع النبي ﷺ»، ووافقته كتب التراجم المختصة بسير الصحابة الأجلاء، فذكروه في عدادهم، وأثبتوه مع السابقين، والظاهر أن له صحبة مع رسول الله ﷺ للأسباب الآتية:

أولاً: أنه ذكر في عداد الصحابة باسمه ونسبه، وكتب تمييز الصحابة تشهد علىٰ ذلك وتقرره.

ثانياً: لأنه من أهل المدينة التي تشرفت بالنبي ﷺ، ولم يثبت أن عبد الرحمٰن كان خارجها، بل ذكر ابن الأثير[3] أنه لم يكن خارجاً عنها.

ثالثاً: لأنه توفي في العام الثامن عشر من هجرة النبي ﷺ، فهناك مدة كافية أدرك فيها عبد الرحمٰن النبي ﷺ مؤمناً.

أما ما ذكره بعض أهل السير من أن معاذاً رضي الله عنه لما مات لم يكن له ولد فهو صحيح لأن عبد الرحمٰن وبنتي معاذ رضي الله عنهم ماتوا قبل والدهم فلا عجب ألا يكون لمعاذ رضي الله عنه ولد بعد وفاته، لأن عبد الرحمٰن رضي الله عنه كان آخرهم[4].

---

(١) انظر ترجمته في: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣:٨٥٢)، «أسد الغابة» (٣:٣٢٣)، «الإصابة» (٣:٧٣).

(٢) «أسد الغابة» (٢:٣٢٣).

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة.

(٤) لهذا قدمت ترجمته علىٰ ترجمة والده.

إنه الشاب الفاضل، الذي قاتل مع والده يوم اليرموك[1] ولا شك أنه أبلىٰ بلاءً حسناً في تلك المعركة، فهو قوي بشبابه، وهو صابر مصابر يدل علىٰ ذلك كلامه يوم أصابه طاعون عمواس، وذلك أن والده رضي الله عنه سأله عن حاله قائلاً: كيف تجدك؟ قال: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، لقد نطق بالقرآن، ليتوافق الجنان واللسان، فقال معاذ رضي الله عنه ناطقاً بالقرآن أيضاً: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢].

إن المتأمل في هذا الموقف ليفتخر، ويعتز بهذا الدين العظيم الذي أضاء الوجود لما سطعت أنواره من علىٰ أكتاف الرجال العظماء، الذين لم تثنهم مغريات الدنيا وشهواتها عن مواصلة الجهاد، حتىٰ تحقق النصر واستبشرت الأمم بالظفر، وجعل كلمة الذين كفروا السفلىٰ، والمؤمنون علىٰ حالهم، وما بدلوا تبديلاً، قال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وأما سبب دخول عبد الرحمٰن رضي الله عنه أرض الأردن فلم يكن لتجارة ولا لغرض دنيوي، وإنما كان مجاهداً فاتحاً، ومن أنكر فليسأل أرض اليرموك، وطاعون عمواس، وكل المشاهد عن تلك الزهرة التي ذبلت في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، فارحمه اللهم، واغفر له، واجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، آمين.



---

(١) «الاستيعاب» لابن عبد البر (٣:١٤٠٣).

شهيد الأقحوانة

العالم المبجل

معاذ بن جبل[1]

الإمام السيد معاذ بن جبل، أبو عبد الرحمٰن، الأنصاري، الخزرجي، صاحب الوجه الجميل، والثغر الحسن، الطويل الأبيض، الحنيف القانت، الساكت، فإذا تكلم خرج منه نور ولؤلؤ، وإذا رآه الرائي وقعت محبته في قلبه، فعن أبي سلمة الخولاني قال: دخلت مسجد حمص، فإذا فيه نحواً من ثلاثين كهلاً من الصحابة، فإذا فيهم شاب أكحل العينين، براق الثنايا ساكت، فإذا امترىٰ القوم أقبلوا عليه فسألوه، فقلت: من هذا؟ قيل: معاذ بن جبل، فوقعت محبته في قلبي[2].

إنه أحد جامعي القرآن الكريم، الذين حفظوه في الصدور والسطور، قال فيه رسول الله ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة، من ابن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وسالم مولىٰ أبي حذيفة»[3].

شهد بيعة العقبة، وشهد بدراً وله عشرون سنة، فكان من البدريين الذين غفر لهم في سن مبكرة، وبلغ من العلم مبلغاً عظيماً في سن مبكرة أيضاً، إذ وصفه رسول الله ﷺ بأنه أعلم الناس بالحلال والحرام، فعن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدها في دين الله عمر، وأصدقها حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، وأفرضهم زيد، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة»[4]، وأخبر رسول الله ﷺ أنه يتقدم العلماء يوم القيامة، قال عمر بن

---

(١) ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (٧: ٣٥٩)، «الاستيعاب» (١٠: ١٠٤)، «أسد الغابة» (٥: ١٩٤)، «تهذيب الأسماء واللغات» (٢: ٩٨)، «شذرات الذهب» (١: ٢٩).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣: ٢٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١: ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن رقم الحديث (٤٩٩٩).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٣١٨٤)، والترمذي في المناقب، باب مناقب آل البيت حديث رقم (٣٧٩٤).

الخطاب رضي الله عنه: لو أدركت معاذاً، ثم وليته ثم لقيت ربي، فقال: من استخلفت علىٰ أمة محمد؟ لقلت: سمعت نبيك وعبدك يقول: «يأتي معاذ بن جبل بين يدي العلماء برتوة»[1]، والرتوة رمية سهم، وقيل: مد البصر.

بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن قاضياً، قال معاذ: لما بعثني النبي ﷺ قال لي: كيف تقضي إن عُرض قضاء، فقال: قلت: أقضي بما في كتاب الله، فإن لم يكن، فبما قضىٰ به رسول الله ﷺ، فإن لم يكن فيما قضىٰ به الرسول، قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله[2]، ثم ودعه قائلاً: حفظك الله من بين يديك ومن خلفك، ودرأ عنك شر الإنس والجن، ووصل اليمن فقال لأهلها: إني رسول الله ﷺ إليكم، اتقوا الله واعملوا، فإنما هي الجنة والنار خلود فلا موت، وإقامة فلا ظعن كل امرىءٍ عمل به عامل فعليه ولا له، إلا ما ابتغي به وجه الله، وكل صاحب استصحبه أحد خاذله وخائنه إلا العمل الصالح، انظروا لأنفسكم واصبروا لها بكل شيء[3].

ورجع معاذ رضي الله عنه من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ وكان يعلم أنه لن يعود إلا بعد التحاقه بالرفيق الأعلىٰ، إذ قال له يوم ودعه: «يا معاذ إنك عسىٰ أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي وقبري» فبكىٰ معاذ، فقال رسول الله ﷺ: «لا تبك يا معاذ إن البكاء من الشيطان»[4]، إنه حبيب النبي ﷺ، قال له يوماً: «يا معاذ! إني لأحبك في الله» قال معاذ: قلت: وأنا والله يا رسول الله أحبك في الله، قال: «أفلا أعلمك كلمات تقولهن دبر كل صلاة رب أعني علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»[5].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١:٢٢٩)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩:٣١١).

(٢) أخرجه أبو داود في «الأقضية» (٣٥٩٢)، والترمذي (١٣٢٧)، وانظر: «شرح السنة» للبغوي (١٠:١١٦).

(٣) «سير النبلاء» (١:٤٥٠).

(٤) «مسند الإمام أحمد» (٥:٢٣٥).

(٥) أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي في السهو (٣:٥٣)، والحاكم (٣:٢٧٣) ووافقه الذهبي.

ولما أراد الله سبحانه له الشهادة فتح له باباً من جهة الشام، فسار إليها ودخل الأردن، وكان عمر رضي الله عنه يقول حين خرج معاذ إلىٰ الشام: لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها في الفقه، وفيما كان يفتيهم به، ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يحبسه لحاجة الناس إليه، فأبىٰ علي وقال: رجل أراد وجهاً ـ يعني الشهادة ـ فلا أحبسه، قال الذهبي: إن الرجل ليرزق الشهادة وهو علىٰ فراشه[1]، ومن ثم كان معاذ بن جبل كالجبل ثباتاً وقوة لما حل طاعون عمواس، إذ لما اشتد الوجع صرخ الناس إلىٰ معاذ قائلين: ادع الله أن يرفع عنا هذا الرجز، قال: «إنه ليس برجز ولكن دعوة نبيكم، وموت الصالحين قبلكم، وشهادة يخص الله من يشاء منكم»، إنه يعني ما سمعه من رسول الله ﷺ إذ قال: «ستهاجرون إلىٰ الشام، فيفتح لكم، ويكون فيه داء كالدمل أو كالوخزة، يأخذ بمراق الرجل، فيشهد أو فيستشهد الله بها أنفسكم، ويزكي بها أعمالكم»[2]، وكان يقول: اللهم إن كنت تعلم أن معاذاً سمعه من رسول الله ﷺ فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر منه، فماتت ابنتاه، فدفنهما في قبر واحد وطعن ابنه عبد الرحمٰن، فمات، فدفنه صابراً محتسباً عند الله سبحانه وتعالىٰ، لأنه سمع النبي ﷺ يقول في الطاعون: «هو رحمة لهذه الأمة»[3]. وطعن معاذ في كفه، فجعل يقبلها ويقول: هي أحب إلىٰ من حمر النعم، فإذا سري عنه قال: رب غم غمك، فإنك تعلم أني أحبك، وفي رواية: أخنق خنقك فوعزتك إني لأحبك.

قبض معاذ وهو ابن ثلاث، أو أربع وثلاثين سنة، وذلك سنة ثماني عشرة رضي الله عنه ورحمه، قال البلاذري: توفي بناحية الأقحوانة من الأردن وله ثمان وثلاثون سنة[4].

❑ ❑ ❑

---

(١) «سير النبلاء» (١: ٤٥٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥: ٢٤١).

(٣) انظر: «الاستيعاب» (٣: ١٤٠٢).

(٤) «فتوح البلدان» (١٤٥).

الشقيقان العامريان

أبناء سهيل بن عمرو

الأول: أبو جندل بن سهيل[١]:

العاص بن سهيل بن عمرو، العامري القرشي، كان من خيار الصحابة، وقد أسلم قديماً قبل أبيه، وحبسه أبوه، وقيده في حديدة، وكان قد استضعف، فلما كان يوم صلح الحديبية صالح النبي ﷺ المشركين علىٰ ثلاثة أشياء، علىٰ أن من أتاه من المشركين رده إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلىٰ أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان[٢] السلاح: السيف والقوس ونحوه[٣]، وروي البخاري حديثاً في الشروط مطولاً وفيه: فقال سهيل: وعلىٰ ألا يأتينك منا رجل ـ وإن كان علىٰ دينك ـ إلا رددته إلينا، قال المسلمون: سبحان الله! كيف يرد إلىٰ المشركين وقد جاء مسلماً، فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يوسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتىٰ رمىٰ بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا ـ يا محمد ـ أول من أقاضيك عليه أن ترده إليّ. فقال النبي ﷺ: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذن لم اصالحك علىٰ شيء أبداً، قال النبي ﷺ: فأجزه لي، قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: بلىٰ فافعل قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلىٰ المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد

---

(١) أبو جندل ـ بفتح الجيم وسكون النون ـ صحابي جليل، ترجمته في تهذيب الأسماء واللغات (٢٠٥:٢)، «سير النبلاء» (١٩٢:١)، «العقد الثمين» (٣٣:٨)، «الإصابة» (٣٤:٤)، «تهذيب تاريخ ابن عساكر» (١٣٤:٧).

(٢) جلبان بضم الجيم واللام ـ وقيل بتسكينها وتشديد الباء جمع جلبة، شبه الجراب من الأدم، يوضع فيه السيف مغموداً، وهو وعاء السلاح انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢٨٢:١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الصلح، حديث رقم (٢٧٠٠).

لقيت، وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله»[1]، فرده رسول الله ﷺ، ثم هرب، فلحق بأبي بصير إلىٰ سيف البحر، وكان معه في سبعين رجلاً من المسلمين، يقطعون علىٰ من مر بهم من عير قريش وتجارتهم، فكتبوا فيهم إلىٰ رسول الله ﷺ أن يضمهم إليه، فضمهم إليه، وهذا مصداق قول الله تعالىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١-٤٢]، بل روي أن الآية نزلت فيه[2].

إنه أخو عبد الله بن سهيل، خرج مع أبيه إلىٰ بدر يكتم إيمانه، فلما التقىٰ الجمعان، تحول إلىٰ المسلمين، وقاتل، وعد بدرياً رضي الله عنه.

ظل أبو جندل مجاهداً، ثم انتقل إلىٰ الشام مجاهداً أيضاً، فتوفي شهيداً في طاعون عمواس بالأردن سنة ثماني عشرة[3]، ويذكر أنه توفي هو وأبو عبيدة ومعاذ في يوم واحد رضي الله عنهم أجمعين.

الثاني: عتبة بن سهيل[4]:

إنه ابن سهيل بن عمرو، خطيب قريش السابق ذكره مع شهداء اليرموك، وشقيق أبي جندل. لما خرج سهيل بن عمرو القرشي إلىٰ الشام أخرج معه آل بيته، ورافقه الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ومعه آل بيته أيضاً، واستشهدوا جميعاً ولم يبق من الفريقين سوىٰ عبد الرحمٰن بن الحارث بن هشام، وفاختة بنت عتبة سهيل وهما صغيران، فسماهما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الشريدين، وقال: زوجوا الشريد الشريدة.

إن عتبة من عائلة عريقة، تفاءل رسول الله ﷺ يوم الحديبية بسهيل بن عمرو وقال لما رآه أقبل: سهل الله أمركم، وكان لتلك العائلة نصيب وافر من الشهداء الأبرار من الصحابة الأخيار[5]، فعليهم رحمة الله ورضوانه.

---

(١) رواه البخاري كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد حديث رقم (٢٧٣١)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢:٣١٨).

(٢) انظر: «النكت والعيون» للماوردي (٣:١٨٩)، «زاد المسير» لابن الجوزي (٤:٤٤٨)، «تهذيب تاريخ دمشق» (٧:١٣٦).

(٣) «سير النبلاء» للذهبي (١:١٩٣).

(٤) ترجمته في «الإصابة» (٢:٤٥٣).

(٥) «تاريخ ابن خلدون» (٢:١١٤)، «فتوح البلدان» للبلاذري (١٤٥)، «الكامل» (٢:٣٩٠).

اليمني الأشعري

كعب بن عاصم[1]

كعب بن عاصم الأشعري، أبو مالك، والأشعريون من القحطانية باليمن[2] قدموا علىٰ النبي ﷺ، بعد قدومهم علىٰ النجاشي بسفينة، فسموا أصحاب السفينة.

عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: «بلغنا مخرج النبي ﷺ ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه إنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بردة، والآخر أبو رهم - إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي - فركبنا سفينة فألقتنا سفينتنا إلىٰ النجاشي بالحبشة، فوافقنا جعفر ابن أبي طالب فأقمنا معه، حتىٰ قدمنا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر»[3].

ومن ثم سماهم رسول الله ﷺ أهل الهجرتين، إذ قال لأسماء بنت عميس وكانت من أصحاب السفينة - «لكم أنتم أهل السفينة هجرتان» قالت أسماء: فلقد رأيت أبا موسىٰ وأصحاب السفينة يأتونني إرسالاً يسألوني عن هذا الحديث - ما من الدنيا شيء هم به أفرح، ولا أعظم في أنفسكم مما قال لهم النبي ﷺ[4].

لقد كان أبو مالك كعب بن عاصم رضي الله عنه من أصحاب السفينة وكان فيهم أبو عامر وأبو موسىٰ الأشعري[5] وجم غفير من أهل القرآن الذين تميزوا به، قال رسول الله ﷺ: «إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون

---

(١) ترجمته في «الاستيعاب» (٣: ١٣٢١)، «البداية والنهاية» (٧: ٩٦)، «أسد الغابة» (٤: ٢٤٢)، «تهذيب التهذيب» (٨: ٤٣٤)، «الإصابة» (٣: ٣٢٢).

(٢) «معجم قبائل العرب» عمر كحالة (١: ٣٠).

(٣) رواه البخاري: في المغازي حديث رقم (٤٢٣٠).

(٤) رواه البخاري: في المغازي حديث رقم (٤٢٣١).

(٥) «المستدرك» للحاكم (٣: ٤٦٥).

بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار»[1].

إن للأشعريين عند رسول الله ﷺ مكانة خاصة، كان يخصهم من خلالها أحياناً بالعطاء، كما فعل يوم خيبر، وبالدعاء أحياناً، فقد ورد في دعائه ﷺ اسم أبي مالك الأشعري، قال ابن حجر في الإصابة[2]: أسند ابن عساكر من طريق جرير بن عثمان عن حبيب بن عبيد أن النبي ﷺ قال: «اللهم صل علىٰ عُبيد، أبي مالك الأشعري، واجعله فوق كثير من خلقك»[3]، فأشكلت الكنية تلك علىٰ العلماء ـ إذ تكنىٰ بها غير كعب بن عاصم من أصحاب السفينة ـ قال ابن عساكر: هذا وهم، والمحفوظ أن هذا الدعاء لعبيد أبي عامر الأشعري، قال ابن حجر: هو عم أبي موسىٰ الأشعري.

أقول: لقد روىٰ كعب بن عاصم عن رسول الله ﷺ ورافقه، وروت عن كعب أم الدرداء، قال المزي[4]: «والصحيح أنه غير أبي مالك الأشعري»، لكن هذا لا يمنع أن يكون النبي ﷺ قد دعا لهما، لحبه لهما وحبه للأشعريين كافة، ومن هنا اقترن الدعاء المذكور بسيرته وترجمة حياته والله أعلم وأحكم.

عجيبة هي سيرة هذا الصحابي الجليل، ومسيره من اليمن إلىٰ الحبشة إلىٰ خيبر إلىٰ المدينة المنورة برفقة رسول الله ﷺ، وحضوره المشاهد بعد خيبر كلها، وبعد التحاق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلىٰ يلتحق هو بالشام حيث تشرفت أرضها به وبأقرانه، وشارك في الحروب مع الصديق وعمر رضي الله عنهما حتىٰ أقعده طاعون عمواس، فاستشهد هو ومعاذ بن جبل في يوم واحد[5] من العام الثامن عشر بعد هجرة المصطفىٰ ﷺ، كل ذلك لا ريب يدل علىٰ صدق نيته، وشدة شكيمته، وصبره ومصابرته، فعليك رحمة الله يا صاحب الهجرتين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه: المغازي حديث رقم (٤٢٣٢).

(٢) «الإصابة» (١: ٣٢٢).

(٣) انظر: «كنز العمال» للهندي (١١: ٧٥٣)، حديث رقم (٣٣٦٦٩).

(٤) انظر: «تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف» (٨: ٣٩٤).

(٥) «البداية والنهاية» (٧: ٩٦).

فاتح الأردن

شرحبيل بن حسنة[1]

أبو عبد الله شرحبيل بن عبد الله فاتح الأردن المشهور بابن حسنة[2] نسبة إلىٰ أمه الصحابية الكريمة، إذ توفي أبوه وهو صغير، فعاش في حجر أمه فنُسب إليها، ويقال: تبنته أمه وليس بابن لها فنسب إليها[3]، كان من الفرسان الذين سادوا الناس، وهو من السادة الأفذاذ، ومعدود في وجوه قريش.

أسلم قديماً مع النبي ﷺ، وهاجر بدينه إلىٰ الحبشة، ومنها إلىٰ المدينة المنورة وكان أحد كتاب الوحي لرسول الله ﷺ، وهو موضع ثقته إذ أرسله إلىٰ مصر مبعوثاً إلىٰ عظيم القبط، فقام بالمهمة علىٰ أكمل وجه، غير أنه لم يرجع إلىٰ المدينة المنورة إلا وقد لبست حلة الحداد لفقد قائدها ﷺ.

ولما تولىٰ أبو بكر رضي الله عنه القيادة برزت شخصية شرحبيل الجهادية، فقام بدور بارز في قتال المتنبئين، وحروب الردة، ثم قاد أحد الجيوش الأربعة التي أنفذها أبو بكر لفتح الشام، وكانت وجهته إلىٰ الأردن[4].

شارك شرحبيل في معركة اليرموك الحاسمة، وكان من الأبطال، تولىٰ أحد كراديس الميمنة وكان له أثر طيب مرموق في انتصار المسلمين علىٰ الروم[5].

---

(١) ترجمته في: «التاريخ الكبير» للبخاري (١:٢٤٧)، «تهذيب الأسماء واللغات» (١:٢٤٢)، «تهذيب ابن عساكر» (٦:٣٠١)، «الثقات» (٣:١٨٦)، «البداية والنهاية» (٧:٩٣)، «تهذيب التهذيب» (٤:٣٢٤)، «الإصابة» (٤:١٤٣).

(٢) ترجمتها في «أسد الغابة» (٥:٤٢٥)، «الإصابة» (٤:٢٧٢)، ينسب إليها جماعة منهم جعفر ابن ربيعة الحسني، بفتح الحاء والسين، انظر: «اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١:٣٦٦).

(٣) «الاستيعاب» (٢:٦٩٨).

(٤) «المعرفة والتاريخ» (٣:٢٩١)، «فتوح البلدان» للبلاذري ١١٦.

(٥) «الكامل في التاريخ» (٢:٢٨٢)، «قادة فتح الشام ومصر» محمود شيت خطاب ١١٦.

وكما ساهم في الدولة الصديقة أبلىٰ بلاءً حسناً في الدولة العمرية[1]، إذ سار مع أبي عبيدة رضي الله عنه قاصداً دمشق، وكان شرحبيل علىٰ الراجلة، وحاصروا دمشق مدة طويلة، وأهلها ممتنعون غاية الامتناع[2] ثم فتحها الله علىٰ المسلمين، وكتب أبو عبيدة رضي الله عنه الصلح، وشهد عليه شرحبيل بن حسنة، ثم عاد شرحبيل إلىٰ الأردن وهو أمير الناس، فهاجم بيسان، وحاصرها أياماً ولم يلبثوا أن هُزموا، فصالحهم علىٰ مثل صلح دمشق، ثم سار برفقة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لفتح بيت المقدس.

لقد شهد التاريخ لشرحبيل ظفراً، وفتحاً، وشجاعة، وإقداماً، وكان جديراً أن يتولىٰ أمر الأردن جميعاً، ولكن سيدنا عمر بن الخطاب كان يعشق اختبار الرجال، وكشف ما انطوىٰ من حالهم وأسرارهم، إذ كان يعزل وينصب ويقرب ويبعد، ويراقب أمراءه، وينظر أحوالهم، ويراقب معيشتهم، ويبحث من خلال ذلك عن الأحرىٰ بالقيادة لو أراد التغيير، ومن ثم يعزل خالد بن الوليد، سيف الله المسلول، وشرحبيل بن حسنة، فقال شرحبيل: يا أمير المؤمنين أعجزت أم خنت؟ فقال: لم تعجز ولم تخن، فقال شرحبيل: فلم عزلتني؟ قال: تحرجت أن أومرك وأنا أجد أحرىٰ منك وأليق منك، قال: فأعذرني يا أمير المؤمنين في الناس، قال: سأفعل، ولو علمت غير ذلك لم أفعل، فقام عمر فعذره[3].

وفي العام الثامن عشر من هجرة المصطفىٰ ﷺ ألم بالناس طاعون عمواس، فخطب عمرو بن العاص رضي الله عنه فقال: هذا الطاعون رجز، ففروا منه في الأودية والشعاب، فبلغ ذلك شرحبيل فغضب، وجاء يجر ثوبه، ونعلاه في يده، فقال: صحبت رسول الله ﷺ، ولكنه رحمة ربكم، ودعوة نبيكم، ووفاة الصالحين قبلكم[4]، ولم تنقض هذه السنة حتىٰ استشهد وهو ابن سبع وستين سنة، فعليه رحمة الله.

---

(١) «البداية والنهاية» (٧: ٩٣).
(٢) «البداية والنهاية» (٧: ٢٠).
(٣) «تهذيب تاريخ دمشق» (٦: ٣٠٢).
(٤) «سير النبلاء» (١: ٤٥٨).

فارس الفرسان

عامر بن غيلان[١]

عامر بن غيلان بن سلمة بن متعب الثقفي، أسلم قبل أبيه، كان أبوه غيلان أحد وجوه ثقيف، وفد علىٰ كسرىٰ، وله معه خبر ظريف؛ قال له كسرىٰ: أي ولدك أحب إليك؟ قال: الصغير حتىٰ يكبر والمريض حتىٰ يبرأ، والغائب حتىٰ يقدم، فاستحسن كسرىٰ ذلك من قوله: ثم قال له: ما غذاؤك في بلدك؟ قال: خبز البُر، قال: عجبت لك هذا العقل، إنك حكيم[٢].

تزوج غيلان جلدة بنت أبي العاص، فولدت له عماراً وعامراً، فهاجر عامر إلىٰ النبي ﷺ مسلماً، فعمد خازن غيلان إلىٰ مال لغيلان فسرقه، وادعىٰ أن عامراً سرقه، فأشاع ذلك غيلان، وشكاه إلىٰ الناس، فغضب عمار، وحلف أن لا ينظر إلىٰ وجه أبيه، لكونه كذب أخاه وصدق الخازن.

رحل عامر وأخوه عمار إلىٰ الشام مع خالد بن الوليد، وكان عمار فارس ثقيف يومئذ، واستشهد بطاعون عمواس، فرثاه أبوه ومن قوله فيه:

عيني تجود بدمعها الهتان[٣] سحا وتبكي فارس الفرسان
لو أستطيع جعلت مني عاملاً تحت الضلوع وكل حي فان

ذكر ابن كثير في الكامل[٤] أنه توفي بطاعون عمواس، فعليه رحمة الله.



(١) ترجمته في: «الاستيعاب» (٢: ٧٩٦)، «أسد الغابة» (٣: ٩٠)، «الإصابة» (٢: ٢٥٥).
(٢) «الإصابة» (٣: ١٨٩).
(٣) هتن الدمع يهتن هتوناً، أي: قطر، وعين هتون الدمع. انظر: «لسان العرب» (١٣: ٤٣١).
(٤) «الكامل في التاريخ» (٢: ٣٩١).

صحابة آخرون

مدفونون في الأردن

يصعب ضبط أسماء بل أعداد الصحابة الكرام المدفونين في الأردن، فمنهم من عرفناه بمشاركاته الجهادية وبطولاته واستشهاده، ومنهم من اقتصر المؤرخون علىٰ ذكر مكان وفاته، ومنهم من اشتهر مقامه، وشيد بنيانه وسكت التاريخ عن كيفية وفاته أو ذكر نزراً يسيراً لا يسد جوعه، ولا يروي غلة وهؤلاء شهداء استشهدوا إبان الرباط، منهم:

أولاً: الفارس الشاعر ضرار بن الأزور[1] الأسدي:

التحق بالنبي ﷺ وترك وراءه ألف بعير برعاتها، فأخبر النبي ﷺ بما خلف، وقال: يا رسول الله قد قلت شعراً، فأنشده وفي آخره:

فيـــا رب لا أغبنـــن صفقتـــي فقد بعت أهلي ومالي بدار

قال رسول الله ﷺ: «ما غُبنت صفقتك يا ضرار».

ومن حديثه عن رسول الله ﷺ قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أحلب فقال: «احلب هذه الناقة ودع داعي اللبن» أي: لا تجهدها.

اختلف المؤرخون في وفاته قيل[2]: قتل يوم أجنادين، وقيل: في خلافة أبي بكر الصديق، ورد آخرون[3] بأنه وهم، لأن الذي توفي في خلافة أبي بكر هو ضرار بن الخطاب، وقيل[4]: قاتل في اليمامة قتالاً شديداً، حتىٰ قطعت ساقاه جميعاً، فجعل يحبو علىٰ ركبتيه ويقاتل، وتطؤه الخيل حتىٰ غلبه الموت،

---

(١) ترجمته في: «تاريخ البخاري» (٤:٣٣٨)، «الاستيعاب» (٢:٧٤٦)، «أسد الغابة» (٣:٣٩)، «الإصابة» (٢:٢٠٨).

(٢) «الاستيعاب» (٢:٧٤٧).

(٣) «تاريخ البخاري» (٤:٣٣٨).

(٤) «الاستيعاب» (٢:٧٤٨).

وقيل[1]: مكث مجروحاً وبايع علىٰ الموت يوم اليرموك، ولعل هذا هو الأقرب ومقامه في الأردن يشهد بصحته والله تعالىٰ أعلم.

ثانياً: عامر ابن أبي وقاص[2]:

هو عامر بن مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، وهو أخو سعد بن أبي وقاص، الذي فاخر به النبي ﷺ؛ فقد أقبل سعد يوماً فقال النبي ﷺ: «هذا خالي فليرني امرؤ خاله»[3].

وهو أخو عمير ابن أبي وقاص، قال سعد: رأيت أخي عمير قبل أن يعرض رسول الله ﷺ للخروج إلىٰ بدر يتوارىٰ، فقلت: مالك يا أخي؟ فقال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيستصغرني فيردني، وإني أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرض رسول الله ﷺ فاستصغره فقال: ارجع، فبكىٰ عمير، فأجازه رسول الله ﷺ، فقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة[4].

روىٰ الإمام مسلم[5] عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن قال: حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتىٰ يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك وأنا أمك وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتىٰ غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها، فجعلت تدعو علىٰ سعد فأنزل الله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [لقمان: ١٤-١٥].

---

(١) «تاريخ الطبري» (٤: ٣٦).

(٢) ترجمته في: «الاستيعاب» (٣: ٧٩٩)، «أسد الغابة» (٣: ٩٧)، «العقد الثمين» (٥: ٨٦)، «الإصابة» (٢: ٢٥٧).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢: ١٣٧)، «الإصابة» (٣: ٨٣).

(٤) «طبقات ابن سعد» (٢: ١٤٩).

(٥) كتاب «الفضائل» باب فضل سعد بن أبي وقاص حديث رقم (٢٤١٢).

وفي رواية أخرىٰ أنها نزلت في عامر ابن أبي وقاص أسلم فحلفت أمه، فقال لها سعد: يا أمه علي فاحلفي أن لا تستظلي ولا تأكلي، ولا تشربي حتىٰ تري مقعدك من النار فقالت: إنما أحلف علىٰ ابني البر، فنزلت الآيات[١].

قال البلاذري كتب عمر بن الخطاب إلىٰ عامر ابن أبي وقاص بولايته الشام، وأمره مع الأمراء[٢]، مات بالشام شهيداً رضي الله عنه.

إنا لا نعرف سبب استشهاده ولا تاريخها، إلا أنها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومقامه بالأردن في بلد سمي باسمه وقاص.

❑ ❑ ❑

---

(١) «الإصابة» (٢: ٢٥٧).

(٢) «فتوح البلدان» للبلاذري ١٢٢.

الخاتمة

هذا ما تسنىٰ لي جمعه من أسماء وخلال الصحابة الشهداء علىٰ أرض المملكة الأردنية الهاشمية، بحدودها المعروفة الآن، اقتصرت عليهم دون من دفن في فلسطين الحبيبة من الصحابة كعبادة بن الصامت، وشداد بن أوس، وذي الأصبع التميمي، وفيروز الديلمي، وواثلة بن الأسقع الهوازني، ومسعود بن أوس الأنصاري وتميم بن أوس الداري وأخوه نعيم رضي الله عنهم أجمعين وغيرهم ممن يصعب حصرهم. ويعجز الباحث عن استيعابهم، فأسأل الله تعالىٰ أن ييسر من أصحاب الهمم من يجمع خلالهم ويحكي حالهم.

كما اقتصرت في البحث علىٰ الرجال دون النساء، لعدم إسهاب كتب التراجم في هذا الميدان، التي إن ذكرت شيئاً اقتصرت علىٰ اليسير وأحياناً لم تتعرض للاسم، كما حصل عند ذكر شهيدة الأقحوانة بنت معاذ بن جبل رضي الله عنهما التي استشهدت بالطاعون قبل والدها، لم تذكر كتب التراجم اسمها واكتفت بنسبتها إلىٰ والدها وزمن وفاتها.

ولقد آثرت إبان البحث الاستقصاء والاستقراء محاولاً الجمع والاستيعاب، فمتىٰ وجدت قرينة تشير إلىٰ مقام صحابي أو موقع سرية أو غزوة أو معركة استنطقت كتب التاريخ وسارعت إلىٰ إثباتها، فما أنا والصحابة الكرام إلا كناظم حبات لؤلؤ تناثرت أو جامع أزهار انتشرت حسن لونها وطاب عبقها، فأصبح عقداً يتلألأ نوراً وضياءً وازدانت الباقة جمالاً وعطراً.

وكما بدأت بالاعتذار عن الهفوات أعود، آملاً سد النقص وإتمام العجز سائلاً الله تعالىٰ أن يجعلهم شفعاء لي يوم لا ينفع مال وبنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم.

❑ ❑ ❑

فهرس الموضوعات